

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية

بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بنشر العلوم والدراسات في مجال العلوم الشرعية واللغة العربية، وتصدر مرتين في السنة مؤقتاً

النشر الإلكتروني

البحث: شعر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم دراسة تحليلية

الباحث: أ.د.محمد بن هادي المباركي

ردمد ١٦٥٨ - ٧٢٧٨

تصدر عن جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

شعر غزوات النبي ﷺ
((دراسة تحليليَّة))

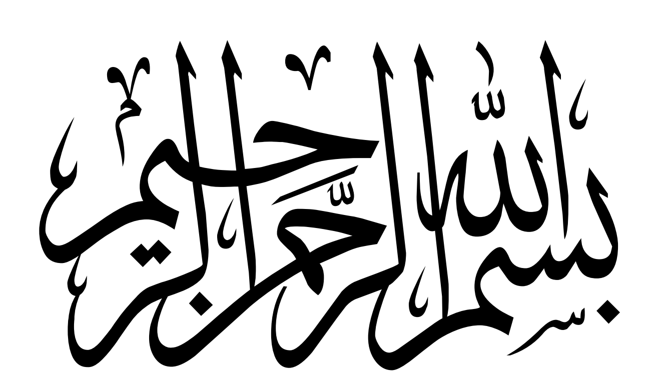
إعداد :

أ.د. محمد بن هادي المباركي

الأستاذ بقسم الأدب والبلاغة

بكلِّيَّة اللُّغة العربيَّة بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة

- حصل على درجة الماجستير من كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته: الاتجاه الإسلامي في النَّثر الفنِّي في العصر الأيوبي.
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته: شعر الدَّعوة الإسلاميَّة في العصر الأيوبي ـ جمعًا ودراسةً نقديةً ـ.
- البريد الإلكتروني : Mh١١١١m@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

قامت هذه الدراسة على تتبُّع شعراء غزوات النبي ﷺ، وما قيل في تلك المعارك الخالدة من أشعار ، وما حفلت به من روح الحماسة والعزيمة ، والحرص على الدِّفاع عن الإسلام ، ومنافحة خصومه ، والتَّصدي لهم في كلِّ الأشعار التي نظموها من أجل الإساءة إلى الدعوة الإسلامية .

وقد اشتملت هذه الدراسة على مبحثين أساسين ، أحدهما بعنوان : ((الشعر في مواكبة الغزوات)) ، وفيه عرض البحث لغزوات النبي ﷺ، وما قيل فيها من أشعار، وما حفل به ذلك الشِّعر من ردود على شعراء المشركين ، حيث كانت غزوة (بدر) هي أولى الغزوات التي نالت اهتمام الشُّعراء، ثم تلتها غزوة (أحد)، واتسم فيها الشِّعر بالكثرة لما شهدته من أحداث جعلت شعراء المشركين يفخرون على المسلمين ، ولذا فقد جاءت الرُّدود من قبل شعراء المسلمين لتخرس ذلك الشِّعر، وتفصح عن عيوبه . وفي غزوة (الخندق) وقف الشِّعر يشير إلى حماسة المسلمين وروحهم المعنويَّة في مواجهة تلك الأحزاب التي قدمت لحرب المسلمين ، ولكنهم باءوا في نهاية أمرهم بسوء العاقبة والخسران . وفي غزوة (مؤتة) وقف الشِّعر يستنهض الهمم ، ويقوِّي العزائم ، ويشير إلى ما ينشده المسلمون من النَّصر أو الشَّهادة في سبيل الله . وأخيراً جاء (فتح مكة) فكان بشارة عظيمة للمسلمين وطريقاً لنشر الإسلام في تلك الأنحاء ، حيث مجد الشُّعراء ذلك الفتح وأبانوا عن عظمته ، وأهمِّيته للمسلمين .

أما المبحث الثَّاني فكان بعنوان : ((القيم الفَّنِّيَّة في شعر الغزوات)) وفيه تناولت

الدِّراسة ما اتسم به ذلك الشعر من قيم فنِّيَّة في جانب اللُّغة الشِّعريَّة ، والصُّورة الفنِّيَّة، بيان أثر القرآن الكريم في شعر الغزوات .

الكلمات المفتاحية: شعر ، عصر النبوة ، الجهاد في سبيل الله

Poetry of the Prophet's Battles

Prof: Muhammad bin Hadi Mubaraki.
Current Position: Dean of the College of Arabic Language,

Islamic University of Madinah.

(Analytic Study)
Abstract

This research is based on exhaustive compilation of the eternal poems said in the battles of the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and those poets that composed them. It touched on the spirit of enthusiasm, determination**,** concern for the defense of Islam, fight against its opponents and rejoining to all the poems they said to offend the Islamic Da'wah.

The research is composed of two main research sections:

First: Poems said to keep up with the Prophetic battles. Here the research addressed the Prophet's battles and the poems said in their regard in response to the poems of polytheistic poets, where the battle of Badr was the first battle to get the attention of poets. Then, it was followed by the battle of Uhud, which was characterized by profound amount of poems owing to the events that occurred making the polytheistic poets to exhibit superiority over the Muslims. That is why the rejoinders of Muslim poets came to silence those poems and expose their defects.

In the battle of the Trench, poetry stood to express the enthusiasm of Muslims and their moral spirit to confront the confederates that came to invade the Muslims but ultimately returned with ill consequence and loss.

During the battle of Mu'tah, the Islamic poetry stood by to boost morals, enhance determinations and refer to the victory or martyrdom in the path of Allah, which was the aim and objective of the Muslims.

Finally, was the Conquest of Makkah, which was indeed a great glad tiding for Muslims and a gateway to spread Islam in that area. The poets glorified that victory and expressed its greatness and significance to Muslims.

The second section of the research was entitled: "Artistic values in the poetry of the Prophetic battles", where the study addressed the artistic values that characterized that poetry in the aspects of poetic language, poetic image and explanation of the impact of the Noble Qur'an on poetry of the Prophetic Battles

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعد: فإنَّ الشِّعر في ظلال الإسلام قد أدَّى دوراً لا يُنكر في مسيرة الدَّعوة الإسلاميَّة حين واكب الغزوات والفتوحات، ونافح الشُّعراء عن حياض الدَّعوة بكلِّ ما أُوتوا من فصاحة وبيان، وبما استقرَّ في نفوسهم من أضواء اليقين، وإشراقات الإيمان.

وكانت مواقف المصطفى ﷺ من شعراء الإسلام قد دفعت بهم إلى شحذ ملكاتهم وصقل مواهبهم، والوقوف في وجه أعداء الإسلام بالكلمة المؤمنة المشحونة بكل طاقات الانفعال الإيمانيَّة التي تزلزل الجبال وتهزُّ الرَّواسي.

موضوع البحث :

ولقد كانت غزوات النَّبيِّ ﷺ ميداناً خصباً سار في ركابه كثير من الشُّعراء، وأبانوا عن مناصرتهم لدين الله تعالى، والتَّصدِّي للمشركين الذين ما فتئوا يتعرَّضون للمسلمين. حيث كان للشِّعر – آنذاك – دوره في مختلف المواقع والغزوات التي خاضها المسلمون من أجل الدِّفاع عن عقيدتهم، والحرص على نشر دعوتهم في شتَّى الأقطار، وهو ما أوجد شعراً وافراً يواكب تلك الغزوات، ويعبِّر عنها، ويستلهم المفهومات الدِّينيَّة في مضامينه التي يتناولها.

وقد آثرت أن تتناول هذه الدِّراسة (**شعر غزوات النَّبيِّ ﷺ**) للوقوف على هذا الشِّعر، ومعرفة أبعاده وتصوُّراته، وما يحمله من قيم فنِّيَّة وسمات خاصَّة.

مشكلة البحث :

تناول البحث الجوانب الموضوعية والجوانب الفنية في شعر غزوات النبي ﷺ، ومعرفة أثر الدعوة الإسلامية في ذلك الشِّعر الذي انطوى على بعض القيم الجديدة التي جاءت بها هذه الرسالة الخالدة.

حدود البحث :

يتناول هذا البحث شعر الغزوات في عهد النبي ﷺ في مختلف المواقع منذ بعثته حتى وفاته ﷺ ، وتشتمل على المعارك التي دارت في عهد النبي ﷺ ابتداءً من موقعة (بدر) في السنة الثانية للهجرة ، حتى (فتح مكة) في السنة الثامنة للهجرة .

وأهداف البحث :

١. قياس جودة الشِّعر الإسلامي في جانب الغزوات .
٢. النظر في معاني شعر غزوات النبي ﷺ .
٣. معرفة نوع العاطفة وقوتها وأثرها في شعر غزوات النبي ﷺ .
٤. قياس تنوُّع المعجم الشِّعري في شعر غزوات النبي ﷺ .

ومنهج البحث :

أمَّا **المنهج** الذي اتَّبعته في هذه الدِّراسة فيقوم على الجمع بين المنهجين الاستقرائي والتَّحليلي الفنِّي في الوقوف عند شعر الغزوات، وبيان الجوانب التي تناولها، وإبراز الأثر النَّفسي للإسلام في شعر الغزوات، وهو منهج يفصح عن وظيفة الشِّعر في بداية العصر الإسلامي، انتهجه بعض الباحثين في دراساتهم للشعر في تلك الحقبة[1]. وقد اقتصرت الدراسة على الغزوات التي قيل فيها شعر، أمَّا التي لم يرد فيها شعر فقد استثنيتها، وأوردت ما جاء نادراً من شعر في بعض الغزوات في ثنايا البحث، كما تناولت الدراسة الجوانب الفنية في شعر الغزوات وذلك من خلال الوقوف على بعض القيم الفنيَّة والسمات الأسلوبيَّة.

خطة البحث :

وقد تكوَّنت خطَّة البحث من فصلين، يسبقهما مقدِّمة، وتتلوهما الخاتمة، وتفصيل ذلك كالآتي:

الفصل الأوَّل بعنوان: (**الشِّعر في مواكبة الغزوات**). واشتمل على المباحث التَّالية:

(١) – غزوة بدر.
(٢) – غزوة أحد.
(٣) – غزوة الخندق.
(٤) – غزوة مؤتة.
(٥) – فتح مكّة.

(١) راجع: العصر الإسلامي د. شوقي ضيف : ٦٨-٦٩، الشِّعر الإسلامي في صدر الإسلام، د. عبد الله الحامد : ١٠٥، شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام د. أيهم القيسي: ٣١٧، التَّأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة د. عبد الرحيم زلط، والأدب في عصر النُّبوة والراشدين د. صلاح الدين الهادي : ٢٥٩، في أدب الإسلام ـ عصر النُّبوة والراشدين وبني أمية ـ لمحمد عثمان علي : ٢٢.

أمَّا **الفصل الثَّاني** فهو بعنوان: (**القيم الفنيَّة في شعر الغزوات**).

واشتمل على المباحث التَّالية:

(١) أثر القرآن الكريم في أسلوب الشِّعر.

(٢) اللُّغة الشِّعريَّة.

(٣) الصُّورة الفنيَّة.

وأخيراً جاءت **الخاتمة**، وتضمَّنت خلاصة للبحث.

أمَّا **الفهرسان**، فكان أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنَّه خير مسؤول. وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً .

الفصل الأول: الشِّعر في مواكبة الغزوات

كان عصر صدر الإسلام حافلاً بالوقائع المتوالية ضدّ المشركين، إذ كانت المعارك تدور معركة في إثر معركة، وقد أوجد ذلك صوراً مفعمة بالبسالة والتّضحية بين المجاهدين الذين كانوا يلاقون عتاة المشركين ويتصدَّون لهم، ويوقعون بهم الهزائم، وذلك ما صوره الشِّعر في تلك الفترة، فقد واكب الأحداث، وأبرزها في صورة واضحة للعيان، تعبِّر عن عظم المهمَّة التي قام بها أولئك المجاهدون، وما قدموه خلالها من التضحية بالنفس والنَّفيس.

هو ما يدلِّل على الدور العظيم الذي قام به الرسول الكريم ﷺ فقد استطاع أن يطوِّر الحياة الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والدِّينيَّة والحربيَّة خلال- عقدين ونيِّف من الزَّمن، وأن يجهِّز الجيوش والفرسان لنشر الدَّعوة الإسلاميَّة في مختلف الأمصار وقد صوَّر الشُّعراء غزوات الرَّسول ﷺ ومعاركه، وعلى رأسهم حسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة – رضوان الله عليهم أجمعين – الذين جاء شعرهم ناطقاً حيّاً ومعبِّراً صادقاً عن المعارك والغزوات، سواءً أكانت داخل الجزيرة العربيَّة أم خارجها، فجاء الشعر مفعماً بتصوير تلك الملاحم البطوليَّة، التي سطَّرها المسلمون، وقدَّموا خلالها أروع التَّضحيات من أجل نصرة الدَّعوة الإسلاميَّة.

ومن يتأمَّل في أثر الشِّعر في تلك الحقبة الزمنيَّة، وقدرته على حفز الهمم والعزائم يدرك ما كان ينبغي أن يصنعه الشِّعر من تأثير فاعل في مواجهة الأعداء الذين ما فتئوا يسيئون للدَّعوة الإسلاميَّة ويهجون الرسول الكريم والمسلمين، وهو ما ظهر جليّاً في أشعارهم التي ردَّت عادية الأعداء، وتصدَّت لسهامهم، فكانت تقوم بمهمَّة الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وذلك ما أبان عنه بوضوح الحديث النَّبويُّ الشَّريف الذي روته عائشة-رضي الله تعالى عنها- أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً فإنَّه أَشَدُّ عليهم من رشق النبل، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم فهجاهم، فلم يُرْضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم إلى حسَّان بن ثابت، فلمّا دخل حسَّان قال: قد آن لكم أن تُرْسِلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه ثم قال: والذي بعثك بالحقِّ لأفرينَّهم فري الأديم، فقال رسول الله ﷺ: لا تعجل فإنَّ أبا بكرٍ أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتَّى يلخِّص لك نسبي، فأتاه حسَّان ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لخَّص لي نسبك، والذي بعثك بالحقِّ لأسلنَّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعرة من العجين». قالت

عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد هجاهم حسَّان فشفى واشتفى»[1].

وقد عدَّ النبي ﷺ الشِّعر المدافع عن الإسلام نوعاً من أنواع الجهاد، وذلك في قوله ﷺ: «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنَّ ما ترمونهم به نَضْحُ النَّبْلِ»[2].

فكان شعراء المسلمين يشاركون بقصائدهم في كل ما يعرض من أحداث، ويصفون المعارك الإسلامية.

وسوف يظهر بوضوح أثر شعر الغزوات في وصف المعارك التي دارت بين المسلمين والمشركين، وإبراز القيم الإسلاميَّة السَّامية التي أفصح عنها المسلمون، وهم يسيرون في الغزوات، ويخوضون المعارك، وتتحقَّق لهم الفتوح التي طالما انتظروها، لينشروا دعوتهم الإسلاميَّة في كلِّ الآفاق، ويعلنوا عن دينهم الحقّ الذي ارتضاه المولى – عزَّ وجلَّ – ديناً لكلِّ البشريَّة. وفي مقدِّمة تلك الغزوات التي خاضها المسلمون في عهد النَّبيِّ ﷺ .

(١) غزوة بدر:

لقد سجَّل الشِّعر غزوات النَّبيِّ ﷺ والوقائع التي دارت بين المسلمين والمشركين، وقد كانت البداية الأولى غزوة بدر التي التقى فيها المسلمون بجحافل قريش، وأذاقوهم مرارة الهزيمة، وقتلوا كبار رجالهم، وتركوهم مجندلين في أرض المعركة، حيث قُتل أبو جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وغيرهم من كبار المشركين الذين تحالفوا على حرب المسلمين، وهو الجانب الذي صوَّره حسَّان بن ثابت ﷺ في قصيدته الرائية التي يقول فيها:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَتَى مكَّةَ الَّذِي ... قَتَلْنَا مِنَ الكُفَّارِ فِي سَاعَةِ العُسْرِ

قَتَلْنَا سَرَاةَ القَومِ عِنْدَ رِحَالِهِمْ ... فلم يَرْجِعُوا إلاّ بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ

قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وعُتْبَةَ بَعْدَهُ ... وَشَيْبَةَ أَيْضاً عِنْدَ ثَائِرَةِ الصَّبْرِ[3]

---

(١) صحيح مسلم ٤/١٩٣٥.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/٤٦٥.

(٣) عُتْبَةُ وشَيْبَة: ابنا ربيعة بن عبد شمس من كبار قريش وساداتها، وقد قُتلا في بدر.

وكــم قــد قَتَلْنَــا مــن كَــرِيمٍ مُــرَزَّءٍ لــه حَسَــبٌ في قومــهِ نَابِــهِ الذِّكْــرِ

تَرَكـــناهُمُ للخَامِعَـــاتِ[١] تَنُوبُهُـــم ويَصْـــلَوْنَ نـــاراً ثـــمّ نائِبَـــةِ القَعْـــرِ

بِكُفْرِهِـــمُ بـــالله والـــدِّينُ قائـــمٌ ومَـــا طَلَبُـــوا فِينَـــا بِطَائِلَـــةِ الوِتْـــرِ

لَعَمْـرِي لقــد قَلَّــتْ كَتَائِـبُ غَالِـبٍ ومـا ظَفِـرَتْ يـومَ الْتَقَيْنَـا عَـلَى بَـدْرِ

لَقَــدْ شَـقِيَتْ كَعْـبٌ جميعـاً وعـامرٌ بأسيـافنـــا يَـــوْمَ الْتَقَيْنَـــا عـــلى بَـــدْرِ

قَتَلْنَـاهُمُ قَتْـلَ الكـلابِ فَلَــمْ نَـدَعْ لهم في جميع النَّاس يَا صَاحِ مِنْ فَخْرِ[٢]

ولقد كان رسوخ المعتقد في نفوس الشُّعراء يدعوهم إلى التوكُّل على الله، والثِّقة به، ورجاء النصر الذي لن يفارقهم ما داموا متوكلين على خالقهم - عزَ وجلَّ- غير آبهين بالأعداء ولا بكثرة عددهم وعتادهم، وهو ما صوَّره حسَّان ﷺ يوم بدر، عندما لقوا الكفَّار بعزيمة قويَّة، وإرادة عالية، فكان النصر حليفهم، رغم كثرة عدد المشركين، حيث يقول في هذا المعنى:

فَــمَا نَخْشَـــى بِحَـــوْلِ الله قَوْمـــاً وإن كَثُـــرُوا وأُجْمَعَـــتِ الزُّحـــوفُ

إذا مـــا أَلَّبُـــوا جَمْعـــاً عَلَيْنَـــا كفانـــــا حدَّهـــــــم رَبٌّ رؤوفُ

سَـــمَوْنَا يـــومَ بـــدرٍ بالعـــالي سِرَاعـــاً مـــا تُضَعْضِـــعُنَا الحُتُـــوفُ

فَلَــمْ تَــرَ عُصْــبَةٌ في النَّــاسِ أنكــى لِمَـــنْ عَـــادُوا إِذَا لَقِحَـــتْ كشُـــوفُ

ولكنَّـــــا تَوكَّلْنَـــــا وقُلْنَـــــا مـــــآثِرُنَا ومَعْقِلُنَـــــا السُّيُـــــوفُ

لَقِينَاهُـــمْ بهـــا لَمَّـــا سَمَوْنـــا ونحـــن عِصَـــابَةٌ وهُـــمُ أُلُـــوفُ[٣]

فهذه الأبيات تحمل في دلالتها المعنى العميق لآيات القرآن الكريم في نفس الشاعر،

---

(١) الخَامِعَاتُ: الخَامِعَةُ الضَّبْعُ، سُمِّيت كذلك لأنَّها تَخْمَع إذا مشت. (انظر: اللسان ٨/٧٩).

(٢) ديوان حسان بن ثابت :٢٦٦. تحقيق: د. سيد حنفي حسنين.

(٣) ديوان حسَّان بن ثابت :٣٩١.

فقد استلهم قول الحق تبارك وتعالى في سورة الأنفال، وأبان عنه في البيت الأوَّل: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (١).(٢)

حيث تحمل الأبيات الشِّعرية معاني التَّضحية والفداء، والرَّغبة في الجهاد في سبيل الله صفَّاً واحداً، ونبذ الهيبة من الأعداء مهما بلغوا من الكثرة في العدد والعتاد، وهذه العزيمة الصادقة أبرزتها كثير من القصائد الشِّعريَّة التي تناولت الغزوات، ووصفت ما دار فيها من قوَّة المواجهة بين الجيشين.

وفي وصف غزوة بدر يشير حسان ﷺ إلى عظم قدرة الله تعالى، وكيف أنه نصر جنده في تلك الموقعة، وخذل المشركين المعاندين، الذين تكبَّروا وتجبَّروا على دعوة الحقِ، فأمهلهم الله وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وفي ذلك يقول:

وَخَبِّرْ بالَّذي لا عَيْبَ فيهِ ... بِصِدْقٍ غيرِ إِخْبَارِ الكَذُوبِ
بِمَا صَنَعَ المَلِيكُ غَدَاةَ بَدْرٍ ... لنا في المشركينَ منَ النَّصيبِ
غَدَاةَ كأنَّ جَمْعَهُمُ حِرَاءٌ ... بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الغُرُوبِ
فَلاَقَيْنَاهُمُ مِنَّا بِجَمْعٍ ... كَأُسْدِ الغابِ مِنْ مُرْدٍ وَشِيبِ
أمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ آزَرُوهُ ... عَلى الأعْدَاءِ في وَهْجِ الحُروبِ
بأيديهِمْ صَوارِمُ مُرْهَفَاتٌ ... وكلُّ مجرِّبٍ خَاظِي الكُعُوبِ
فَغَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صريعاً ... وعُتْبَةَ قدْ تركنا بالجَبُوبِ
وشيبة قدْ تركنا في رجالٍ ... ذوي حَسَبٍ إذا انْتَسَبُوا حَسِيبِ(٣)

حيث أبانت هذه الأبيات عن شدَّة موقعة بدر، وما حدث فيها من قتل سادة قريش وفرسانهم، فقد تُركوا مجندلين في أرض المعركة والطَّير تحوم فوقهم في مشهد يدلُّ على بسالة المجاهدين، وتمكُّنهم من أعدائهم. ولا غرابة في ذلك فقد كانت التَّضحية والفداء

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٤.

(٢) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة ، د. عبد الرحيم زلط :١٤٢.

(٣) ديوان حسَّان بن ثابت :١٣٤-١٣٥.

تتقدَّمان تلك المعركة، وذلك حين تسابق الصَّحابة – رضوان الله عليهم– لحمل السِّلاح ومقاتلة أعداء الإسلام، وذلك سعياً وراء رضوان الله تعالى، وطمعاً بجنَّته التي وعد بها الشُّهداء في سبيله. وحينما قال الرَّسول ﷺ يوم بدر: «والذي نفس محمَّد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلاّ أدخله الله الجنَّة»(١)، فقال عُمير بن الحُمام السُّلمي رضي الله عنه، وكان يأكل تمرات بيده: بخ بخ، فما بيني وبين أن أدخل الجنَّة إلاّ أن يقتلني هؤلاء ! ثمَّ قذف التَّمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتَّى قُتل، وهو يقول:

رَكْضــاً إلى الله بغـــيرِ زَادِ إلاّ التُّقى وعَمَلِ المَعَــادِ

والصَّبْرِ في اللهِ عَلَى الجِهَادِ وكلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَــادِ

غيرُ التُّقَى والبِرِّ والرَّشَادِ(٢)

(٢) غزوة أحد:

تعدُّ غزوة أحد الموقعة الثانية التي دارت بين المسلمين وكفَّار قريش بالمدينة المنورة، وذلك حين عزم كفار قريش على أن يثأروا لهزيمتهم ببدر، وما أصابهم فيها من الخسائر في الأرواح والأموال وسقوط هيبتهم، حيث بدأوا يعدُّون العدَّة لأخذ الثَّأر من المسلمين، فجمعوا قبائلهم وعشائرهم ومن حالفهم من مكَّة وجوارها وجاءوا قاصدين النَّيل من رسول الله ﷺ في عدد من الرّجال يزيد على الثلاثة آلاف مقاتل، بينما كان عدد المسلمين الذين خرجوا وثبتوا لهذه المعركة لا يزيد على الأربعمائة مجاهد، وقد انتهت المعركة لصالح المشركين، حيث استطاع الكفَّار قتل بعض قادة المسلمين، وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطَّلب رضي الله عنه ورجع الرَّسول ﷺ بمن معه من الرِّجال إلى المدينة، بينما عادت جحافل الكفَّار ومعهم جرحاهم وبقلوبهم فرحة الثَّأر لقتلاهم في بدر التي حاقت بهم الهزيمة فيها.

وقد كان للشِّعر دوره في غزوة أحد، حيث وصف الشُّعراء ما دار فيها من أحداث ومواقف، ودارت مساجلات بين شعراء المسلمين وشعراء الكفَّار، ورثى الشُّعراء من

---

(١) السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام ٦٢٧/١، تحقيق: مصطفى السَّقا وآخران.

(٢) تاريخ الرُّسل والملوك للطَّبري ٤٤٨/٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

استشهدوا في تلك الغزوة، وفي مقدِّمتهم حمزة بن عبد المطَّلب ﷺ[1].

وأولى هذه القصائد التي نظمها الشُّعراء في تلك الغزوة قصيدة حسَّان بن ثابت ﷺ الَّتي ردَّ فيها على هُبيرة بن أبي وهب المخزومي – شاعر المشركين – الذي خالجه السُّرور والتَّعالي بما حقَّقه قومه في أُحد، وهو ما ظهر في قصيدته التي يقول مطلعها:

سُـقْنَا كِنَانَـةَ مِـنْ أَطْـرَافِ ذي يَمَـنٍ ... عُرْضِ الْبِلَادِ عَلَى ما كـانَ يُزْجِيهـا[2]

فقد ردَّ عليه حسَّان بن ثابت ﷺ بقوله:

سُقْتُمْ كِنَانَةَ جَهْلاً مِنْ سَفَاهَتِكُمْ ... إِلَى الرَّسُـولِ فَجُنْـدُ الله مُخْزِيهـا

أَوْرَدْتُمُوهـا حِيَـاضَ المَـوْتِ ضَـاحِيَةً ... فَالنَّـارُ مَوْعِـدُها، والقَتْـلُ لاقِيهـا

أَنتم أَحَابِيشُ جُمِّعْتُمْ بِـلا نَسَـبٍ ... أَئِمَّـةُ الكُفْرِ غَـرَّتْكُمْ طَوَاغِيهـا

هَلاَّ اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ الله إِذْ لَقِيَتْ ... أَهْلَ القَلِيبِ ومَنْ أَرْدَيْنَهُ فِيهَا

كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَـاهُ بِلا ثَمَـنٍ ... وَجَـزِّ نَاصِيَـةٍ كُنَّـا مَوَالِيهـا[3]

حيث يشير حسَّان ﷺ إلى صنيع المشركين وجهلهم، حين ساقوا جيوشهم من بني كنانة لقتال النبي ﷺ والمسلمين وكيف أنهم رجعوا خائبين خاسرين أمام جند الله الذين أذاقوهم مرارة الهزيمة، بل يشير حسَّان إلى صنيع المسلمين بأسرى بدر الذين أطلقوهم بلا ثمن، ليعلم أولئك عظمة النَّصر الذي حقَّقه المسلمون وعلو مكانته.

أمَّا كعب بن مالك ﷺ فقد أجاب هُبيرة بقصيدة طويلة وصفت ما دار في غزوة أُحد، وما حفلت به الموقعة من شدَّة وضراوة، حيث بدأ قصيدته بوصف مكان المعركة، وأنَّها كانت أرضاً صعبة المسالك وعرة الدُّروب، لا يسلكها إلاّ حمر الوحش أو النَّعام، وقد امتلأت بالجيف من مخلَّفات الوحوش وعظام الفرائس[4]، يقول:

---

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :١٦١.

(٢) السِّيرة النَّبويَّة ٣/١٣٠.

(٣) ديوان حسَّان بن ثابت :٢٠٥.

(٤) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :١٦٣.

أَلا هَلْ أَتَى غَسَّانَ عَنَّا ودُونَهُمْ ... مِنَ الأَرْضِ خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَنَعْنِعُ[١]

صَحَارٍ وأَعْلامٌ كَأَنَّ قَتَامَها ... مِنَ الْبُعْدِ نَقْعٌ هَامِدٌ مُتَقَطِّعُ[٢]

تَظَلُّ بِهِ البُزْلُ العَرَامِيسُ رُزَّحاً ... وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السِّنِينِ فَيُمْرِعُ[٣]

بِهِ جِيَفُ الحَسْرَى يَلُوحُ صَلِيبُها ... كَمَا لاحَ كِتَّانُ التجار المُوَضَّعُ[٤]

بِهِ العِينُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً ... وبيض نَعامٍ قَيْضُه[٥] يَتَقَلَّعُ[٦]

ثمَّ يصف كعب ﷺ بطولة المؤمنين الذَّائدين عن دين الله، مذكِّراً المشركين في أُحد بهزيمتهم السَّاحقة التي واجهتهم في بدر، يقول:

مُجَالِدُنَا عَنْ دينِنا كلُّ فَخْمَةٍ[٧] ... مُذَرَّبَةٍ فيها القَوَانِسُ تَلْمَعُ[٨]

وكلُّ صموتٍ في الصُّوانِ كأَنَّها ... إذا لُبِسَتْ نِهْيٌ من الماء مُتْرَعُ[٩]

(١) الخرق: الفلاة التي تنخرق فيها الرِّيح. ومتنعنع: مضطرب.

(٢) الأعلام: الجبال المرتفعة. والقتام: ما مال لونه إلى السَّواد.

(٣) البُزْل: جمع بازل وهو البعير القويّ. والعِرْمِسُ: النَّاقة الشَّديدة. ويمرع: يخصب.

(٤) الصَّليب: ودك العظام. والموضَّع: المبسوط والمنقوش.

(٥) العِينُ: البقر الوحشي. الآرام: الظِّباء. القيض: قشر البيض الأعلى.

(٦) ديوان كعب بن مالك :٢٢٢.

(٧) قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال: مجالدنا عن جِذْمنا كل فخمة. فقال رسول الله ﷺ: أيصلح أن تقول مجالدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم. فقال رسول الله ﷺ: فهو أحسن، فقال كعب: مجالدنا عن ديننا. (انظر السِّيرة النَّبويَّة ٢/١٣٦).

(٨) مجالدُنا: مدافعنا. والفخمةُ: الكَتيبةُ العظيمة. المذَرَّبَةُ: المتعودةُ على القتال الماهرة فيه.

(٩) الصَّمُوتُ: الدِّرع. الصوانُ: كل ما يُصان فيه الشَّيءُ، درعاً كان أو ثوباً أو غيرهما. النِّهْيُ: الغديرُ. ومُتْرَعٌ: أي: مملوءٌ ماءً.

ولكـنْ بِبَـدْرٍ سَـائِلُوا مَـنْ لَقِيتُـمُ   مـن النَّـاسِ، والأَنْبَـاءُ بالغَيْـبِ تَنْفَـعُ[1]

ثم يشير كعب ﷺ إلى الاستعداد النَّفسي لتلك الموقعة، وكيف أنّ الكفَّار ضربوا خيامهم وأبنيتهم بأرض المعركة، ورأى المؤمنون كثرتها فتشاوروا فيما بينهم ماذا يمنعهم من السُّكوت على ما بدأهم به الكفَّار؟ وكيف لا يتشاورون مع رسول الله ﷺ فيما ينبغي فعله ؟ فقوله الحقُّ، ومن أعرض عن نصحه فقد باء بالخسران، وبعد المشاورة أبان لهم الرَّسول ﷺ أنَّ من كانت نيَّته للجهاد حقيقةً والطَّمع فيما عند الله تعالى فعليه أن يشمِّر لذلك؛ ليظفر بما أعدَّه الله – عزَّ وجلَّ – لعباده المؤمنين الصَّادقين[2]، وفي ذلك يقول:

ولَمَّا ابْتَنَوْا بالعِرْضِ[3] قَالَ سَرَاتُنا   عَـلامَ إذا لم نَمْنَـع العِـرْضَ نَـزْرَعُ ؟

وفِينَـا رَسُـولُ الله نَتْبَـعُ أَمْـرَهُ   إِذَا قَـالَ فِينَـا القَـوْلَ لا نَتَطَلَّـعُ

تَـدَلَّى عليه الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّـهِ   يُنَـزَّلُ مِـنْ جَـوِّ السَّـمَاءِ ويُرْفَـعُ

نُشَـاوِرُهُ فيما نُرِيـدُ وقَصْرُنـا[4]   إذا مـا اشْـتَهَى أَنَّـا نُطِيـعُ ونَسْمَـعُ

وَقَـالَ رَسُـولُ الله لَمَّـا بـدوا لنـا   ذَرُوا عَنْكُمُ هَـوْلَ المَنِيَّـاتِ واطمعوا

وكُونُـوا كَمَنْ يَشْرِي الحَيَاةَ تَقَرُّباً   إِلَى مَلِـكٍ يُحْيَـا لَدَيْـهِ ويُرْجَـعُ

ولكـن خُـذُوا أَسْيَافَكُمْ وتَوَكَّلُـوا   عـلى الله إِنَّ الأَمْـرَ لله أَجْمَـعُ

فَسِرْنَا عليهم جَهْـرَةً في رِحَـالِهِمْ   ضُـحَيّاً عَلَيْنَا البِيضُ لا نَتَخَشَّـعُ[5]

ثم يصل كعب ﷺ إلى وصف المعركة وأحداثها، بدءاً من بيان عدد المقاتلين من الطَّرفين، وانتهاءً بما حدث في أرض المعركة من التحام الجيشين، حيث تُسدَّد الطَّعنات،

(١) ديوان كعب بن مالك :٢٢٣.

(٢) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :١٦٥.

(٣) العِرض: موضع خارج المدينة. وكلُّ وادٍ فيه شجر فهو عِرض.

(٤) قَصْرُنَا: غايتنا ونهاية أمرنا.

(٥) ديوان كعب بن مالك :٢٢٤ – ٢٢٥.

وتُصوَّب الرِّماح، وتهرع الخيول، وتسبح في الفضاء كأنَّها الجراد المنتشر.(١) وفي ذلك يقول:

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ من البَحْرِ وَسْطَهُ ... أَحَابِيشُ منهم حَاسِرٌ ومُقَنَّعُ

ثَلَاثَةُ آلافٍ ونحنُ نَصِيَّةٌ(٢) ... ثَلَاثُ مِئِينٍ إِنْ كَثُرْنَا وأَرْبَعُ

نُغَاوِرُهُمْ تَجْرِي المَنِيَّةُ بَيْنَنَا ... نُشَارِعُهُمْ(٣) حَوْضَ المَنَايَا ونَشْرَعُ

تَهَادَى قِسِيُّ النَّبْعِ فينا وفيهمُ ... وما هُوَ إلاَّ اليَثْرِبِيُّ(٤) المُقَطَّعُ

ومَنْجُوفَةٌ حِرْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ(٥) ... يُذَرُّ عليها السُّمُّ ساعةَ تُصْنَعُ

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وتَارَةً ... تَمُرُّ بِأَعْرَاضِ البِصَارِ تُقَعْقِعُ(٦)

وخَيْلٌ تَرَاهَا بالفَضَاءِ كأَنَّهَا ... جَرَادُ صَباً في قَرَّةٍ يَتَرَيَّعُ(٧)

فلَمَّا تَلاقَيْنَا ودَارَتْ بِنَا الرَّحَى ... ولَيْسَ لأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ مَدْفَعُ

ضَرَبْنَاهُمُ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَاتَهُمْ(٨) ... كَأَنَّهُمُ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعُ

فَنِلْنَا وَنَالَ القَوْمُ مِنَّا ورُبَّمَا ... فَعَلْنَا، ولكنْ ما لَدَى اللهِ أَوْسَعُ

ودَارَتْ رَحَانَا، واسْتَدَارَتْ رَحَاهُمُ ... وقَدْ جُعِلُوا كُلٌّ من الشَّرِّ يَشْبَعُ(٩)

---

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :١٦٦.

(٢) النَّصِيَّةُ: الخيارُ من القوم.

(٣) نُغَاورهم: أي نغير عليهم. ونُشَارعهم: أي نشاربهم.

(٤) اليَثْرِبِيُّ: الأوتار، نسبةً إلى يثرب.

(٥) المنجوفةُ: السِّهامُ المثقَّفة. والحرميَّةُ: نسبةً إلى أهل الحرم. والصَّاعديَّةُ: نسبة إلى صاعد، وهو صانع معروف.

(٦) تَصُوبُ: تقع. والبِصَارُ: الحجارةُ اللينةُ. وتُقعقعُ: تُصَوِّت.

(٧) الصَّبَا: ريحٌ شرقيَّة. والقَرَّةُ: البردُ. ويَتَرَيَّعُ: يجيء ويذهب.

(٨) سَرَاتُهم: خيارهم.

(٩) ديوان كعب بن مالك :٢٢٥ — ٢٢٧.

ويختتم كعب ﷺ قصيدته بتعداد صفات جيش المسلمين في أنَّهم يقدمون على الحرب متى كانت دفاعاً عن عرض أو عقيدة وليس لمغنم دنيوي، وأنَّهم تدرَّبوا على الحرب وألفوها، فلا يهابون أعداءهم، ولا يتراجعون في المواجهة، وقد عرفوا آداب القتال فلا يجزعون إن أُصيبوا، فالحرب سجال دائماً، وإن ظفروا بالعدوّ فلا فحش ولا تمثيل بالقتلى أو إذلال للأسرى وإنَّما منهج الإسلام في معاملة المتحاربين والأسرى(١)، حيث يقول كعب واصفاً بطولة ذلك الجيش المسلم:

ونحن أُناسٌ لا نَرَى القَتْلَ سُبَّةً ... عَلَى كلِّ مَنْ يَحْمِي الذِّمارَ(٢) ويَمْنَعُ

ولكنَّنا نَقْلِي الفِرَارَ، ولا نَرَى الـ ... ـفِرَارَ لمن يرجو العَوَاقِبَ يَنْفَعُ

جِلادٌ(٣) على ريب الحوادث لا ترى ... على هَالِكٍ عَيْناً لنا الدَّهرَ تَدْمَعُ

بنُو الحَرْبِ لا نَعْيَا بشيءٍ نَقُولُه ... ولا نحنُ ممَّا جَرَّتِ الحَرْبُ نَجْزَعُ

بنُو الحَرْبِ إن نَظْفَرْ فَلَسْنَا بِفُحَّشٍ ... ولا نحنُ مِنْ أَظْفَارِها نَتَوَجَّعُ

وكُنَّا شِهَاباً يتَّقي النَّاسُ حَرَّهُ ... ويَفْرُجُ عنهُ من يليهِ ويُسْفَعُ(٤)

وبينما كانت المعارك تدور بين المسلمين والمشركين فقد كان هناك من يفخر من المشركين بما تحقَّق في غزوة أحد ناسياً صنيع المسلمين في بدر، ومن أولئك الشُّعراء عبد الله بن الزِّبعرى(٥) الذي افتخر في إحدى قصائده التي يقول فيها:

يا غُرَابَ البَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ ... إِنَّما تَنْطِقُ شَيْئاً قد فُعِلْ

كَمْ قَتَلْنَا من كَرِيمٍ سَيِّدٍ ... ماجِدِ الجَدَّيْنِ مِقْدَامٍ بَطَلْ

---

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :١٦٨.

(٢) السُّبَّةُ: العار. والذِّمار: ما يجب على الرَّجل حمايته.

(٣) جِلادٌ: جمع جليدٍ وجَلْدٍ وهو الصَّلبُ.

(٤) ديوان كعب بن مالك :٢٢٧ – ٢٢٨.

(٥) هو عبد الله بن الزِّبعرى بن قيس بن عدي بن سعد السَّهمي القرشي، كان شديداً على المسلمين يهجوهم ويحرِّض المشركين عليهم، وقد أسلم بعد فتح مكَّة، واعتذر من النَّبيِّ ﷺ عمَّا بدر منه. وكانت وفاته سنة ١٥هـ. (انظر: أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة لابن الأثير ٣/ ١٦٠).

لَيْــتَ أَشْــيَاخِي بِبَــدْرٍ شَهِــدُوا جَـزَعَ الخَـزْرَجِ مِـنْ وَقْـعِ الأَسَـلْ(١)

فانبرى له حسَّان بن ثابت ﷺ يردّ عليه، ويبيِّن لـه أنّ الحـرب سجال بـين الطّـرفين، وأنّ المسلمين قد نالوا من المشركين في أحد كما نال المشركون منهم، مذكِّراً إيَّاه بـما لاقـوه من الهزيمة في ((بدر))، وكيف قتل سادتهم، وهـرب فرسـانهم في تلـك الموقعـة، وبـاءوا بالخزي والخذلان، حيث يقول حسّان ﷺ:

ذَهَبَـتْ بـابْنِ الزِّبَعْـرَى وَقْعَـةٌ كَانَ مِنَّا الفَضْلُ فيها لـو عَـدَلْ

ولقــد نلتــم ونلنــا مــنكمُ وكَــذَاكَ الحَـرْبُ أحيانـاً دُوَلْ

نضـعُ الأَسْـيَافَ في أَكْتـافِكُمْ حيـثُ نَهْـوِي عَلَـلاً بعـد نَهَـلْ

إِذْ تُولُّــون عَــلَى أَعْقَابِكُــمْ هُرَّبـاً في الشِّـعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَـلْ(٢)

إِذْ شَــدَدْنَا شَــدَّةً صادقــةً فأجأناكــم إلى سَـفْحِ الجَبَـلْ

وعَلَوْنَـا يَـوْمَ (بَـدْرٍ) بـالتُّقَى طَاعــةِ اللهِ، وتَصْـدِيقِ الرُّسُـلْ

وتَرَكْنــا في قُرَيْــشٍ عَــوْرَةً يَـوْمَ بَـدْرٍ وَأَحَـادِيثَ المَثَـلْ(٣)

أمَّا كعب بن مالك ﷺ فيردُّ في قصيدته اللاميَّة على كلِّ من تطاول على المسلمين مـن شعراء قريش، ويوضِّح لهم أنَّه إذا كان هناك من قادة المسلمين من قُتل في (أُحـد)، وهـو ما أفرح المشركين وشعراءهم فإنَّ عليهم أن يعودوا بـذاكرتهم إلى مـا أصـابهم في (بـدر)، وما واجهوه من صور البطولة والتَّضحية التي أبداها المسلمون(٤)، حيث يقول:

أَبْلِـغْ قُرَيْشـاً وَخَـيْرُ القَـوْلِ أَصْدَقُـهُ والصِّــدْقُ عنـدَ ذَوِي الأَلْبَـابِ مَقْبُـولُ

أَنْ قَــدْ قَتَلْنَــا بقتلانــا سَرَاتَكُــمُ أَهْــلَ اللّــواءِ، ففيــم يكثـرُ القِيــلُ؟

ويــومَ بَــدْرٍ لَقِينَــاكُمْ لَنَــا مَــدَدٌ فِيـهِ مـع النَّصرـ مِيْكَـالٌ وجبريــلُ

(١) شعر عبد الله بن الزِّبعرى :٤١ – ٤٢، تحقيق: د. يحيى الجبوري.

(٢) الرَّسَلُ: الإبل المرسلة بعضها في إثر بعض.

(٣) ديوان حسَّان بن ثابت :٩٣ – ٩٤.

(٤) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :١٧٠.

إِنْ تَقْتُلُونــــا فَــدِينُ اللَّـــهِ فِطْرَتُنـــا والقَتْــلُ في الحــقِّ عنـــد الله تَفْضِـــيلُ

وإِنْ تَــرَوْا أَمْرَنــا في رأيكُــم سَفَــهاً فَــرَأْيُ مَــنْ خَــالَفَ الإِسـلامَ تَضْـــلِيلُ

فَـلَا تَمَنَّـوْا لِقَــاحَ الحَــرْبِ واقْتَعِـدُوا إِنَّ أَخَا الحَرْبِ أَصْدَى اللونِ مَشْعُولُ(١)

إِنَّ لَكُــمْ عِنْــدَنَا ضَرْبــاً تَــرَاحُ لَــهُ عُــرْجُ الضِّــباعِ لــه خَــذْمٌ رَعَــابِيلُ(٢)

إِنَّــا بنُــو الحَـرْبِ نَمْرِيهــا ونَنْتُجُهــا وعنــدنا لِــذَوِي الأَضْــغَانِ تنكــيلُ(٣)

وكما يظهر فقد أثَّرت غزوة أُحد في نفوس الشُّعراء في عهد النَّبيِّ ﷺ، ودعتهم إلى التَّجاوب معها، والتَّعبير عن مواقفها وأحداثها، والتَّصدِّي لمن حاول الإساءة للنَّبيِّ ﷺ وللمسلمين، وهو ما قام به شعراء المشركين بعد الموقعة، الأمر الذي دعا شعراء المسلمين إلى الرَّدِّ عليهم، وكشف أكاذيبهم وتخرُّصاتهم، وبيان أثر الإسلام في كلِّ ما تحقَّق للمسلمين من عزَّة ومنعة.

(٣) غزوة الخندق:

في السَّنة الخامسة للهجرة تجمَّعت قوى الشِّرك لمحاربة النَّبيِّ ﷺ والمسلمين بالمدينة، وتزعَّم أبو سفيان تلك الجموع من القرشيِّين ومن والاهم من غطفان والقبائل المجاورة، ويأتي الجميع إلى المدينة المنوّرة قاصدين القضاء على الإسلام بجحافلهم وعدَّتهم الحربيَّة التي لم يكن للمسلمين قِبَل بها، ولم يكتفوا بذلك بل تعاهدوا مع يهود بني قريظة في حصونهم حول المدينة من أجل القضاء على المسلمين.

ولمَّا علم رسول الله ﷺ بتآمرهم وتحزُّبهم جمع المسلمين وأعلمهم ما عزم عليه أبو سفيان ومَنْ والاه من غطفان واليهود، وتشاور معهم، وانتهت مشورتهم بحفر خندق

---

(١) لِقَاحُ الحَرْبِ: زيادتها ونموُّها. وأصدى اللون: لونُه بين السَّواد والحُمْرَة. ومَشْعُولٌ: أي متَّقد متلهِّب.

(٢) تَرَاحُ: تفرحُ وتهتزُّ. والخذمُ: قطعُ اللَّحم. والرَّعابيلُ: المتَقَطِّعةُ.

(٣) ديوان كعب بن مالك :٢٥٥ – ٢٥٦.

حول المدينة حتَّى يمكنهم التَّحصُّن فيها، فإذا دهمهم العدوّ نالوه ولا ينالهم، وبدأ المسلمون حفر الخندق، وكان الرَّسول ﷺ يعاونهم في حفره ويشدّ من عزيمتهم، ويرغبهم فيما عند الله تعالى من الأجر(١)، حتى إذا اكتمل حفر الخندق جاءت فلول المشركين التي تجمَّعت من قبائل عدَّة، وتحزَّبت لحرب المسلمين، يقودهم إلى ذلك طمعهم واستكبارهم وعتوهم، حيث نزلوا بجانب أُحُد(٢)، وهناك ظهر لهم المسلمون الذين كان عددهم يقدَّر بثلاثة آلاف، والخندق يفصل بين الفريقين، فخرج من بين صفوف المشركين عمرو بن ود العامري – وكان مُعْلَماً – وقال: مَنْ يُبارز؟ فخرج له من المسلمين عليٌّ بن أبي طالب ؓ وقال له: يا عمرو إنَّك عاهدتَ الله أَلاّ يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خَلَّتين إلاّ أخذتها منه، فقال له: أَجَلْ، فقال له عليٌّ: فإنِّي أدعوك إلى النِّزال، فقال له: لِمَ يا ابن أخي؟ فو الله ما أُحبُّ أن أقتلك، فقال له عليٌّ: لكنِّي والله أُحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقره، وضرب وجهه، ثمّ أقبل على عليٍّ، فتنازلا وتجاولا، فقتله عليٌّ ؓ وخرجت خيلهم منهزمة، حتَّى اقتحمت من الخندق هاربةً(٣).

وقد وصف عليٌّ ؓ ذلك الحدث والموقف الشُّجاع الَّذي أبان عن قوَّة المسلمين في مواجهة أعداء الإسلام في أبيات شعريَّة، قال فيها:

نَصَرَ الحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ	ونَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي
فَصَدَدْتُ حين تَرَكْتُه مُتَجَدِّلاً	كالجِذْعِ بينَ دَكَادِكٍ ورَوَابِي(٤)
وعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ ولَوَ انَّنِي	كُنْتُ المُقَطَّرَ بَزَّنِي أَثْوَابِي(٥)
لا تَحْسَبَنَّ اللهَ خَاذِلَ دِينِهِ	ونَبِيِّهِ يا مَعْشَرَ الأَحْزَابِ(٦)

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر: ١٩٤.

(٢) السِّيرة النَّبويَّة ٢/٢١٦ – ٢١٧.

(٣) السِّيرة النَّبويَّة ٢/٢٢٥.

(٤) مُتَجَدِّلاً لاصقاً بالأرض. والجِذْعُ: فرع النَّخلة. والدَّكْدَكُ والدَّكْدَاكُ: أرضٌ فيها غلظ، والجمعُ دَكَادِكُ.

(٥) المُقَطَّرُ: الذي ألقي أحد قطريه، أي جنبيه، والقطر: الجانب. وبزَّني: سلبني.

(٦) السِّيرة النَّبويَّة ٢/٢٢٥.

وقد شكَّك ابن هشام في نسبة هذه الأبيات لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

ولم يكن تحزُّب الأعداء واتِّحادهم لحرب المسلمين أمراً يثير الهيبة أو الخوف في قلوب المجاهدين، الذين نذروا أنفسهم للدِّفاع عن عقيدتهم، ونصرة نبيِّهم ﷺ حيث لقاء الأعداء هو لقاء الشَّجاعة، والنُّصرة، والتَّضحية لقوم دَربوا على القتال، وعَلَّموا أنفسهم في الحرب حتَّى أصبحوا ظاهرين للنَّاس جميعاً، وكأنَّهم أسود يحمون عرينهم، ويدافعون عن رسالتهم الخالدة[2].. وهي المعاني التي أشار إليها كعب بن مالك رضي الله عنه في قصيدته التي قالها يوم الخندق، حيث قال:

مَـنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِـعُ بَعْضُـهُ ... بَعْضاً كَمَعْمَعَةِ الأَبَاءِ المُحْرَقِ[3]

فَلْيَـأْتِ مَأْسَـدَةً تُسَـنُّ سُيوفُهـا ... بـينَ المِذَادِ وبـينَ جِـزْعِ الخَنْدَقِ[4]

دَرِبُوا بِضَرْبِ المُعْلِمِينَ[5] وأَسْلَمُوا ... مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ المَشْرِقِ

في عُصْـبَةٍ نَصَـرَ الإِلَـهُ نَبِيَّـهُ ... بِهِـمُ، وكَـانَ بِعَبْـدِهِ ذَا مَرْفَـقِ[6]

ويمضي كعب رضي الله عنه في قصيدته إلى وصف السِّلاح، فيصوِّر الدُّروع تحكي حلقاتها في سردها المحكم وشكلها الموثَّق أحداق الجنادب، فهي مستديرة الحلق، تشمِّرها للحرب حمائل السُّيوف الصَّارمة، حيث يقول:

في كُـلِّ سَـابِغَةٍ تَخُـطُّ فُضُـولُهَا ... كَـالنِّهْيِ[7] هَبَّـتْ رِيحُـه المُتَرَقْـرِقِ

---

(١) المصدر السَّابق ٢/٢٢٥.

(٢) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :١٩٦.

(٣) المعمعة: اختلاط الأصوات وشدَّةُ زجلها. الأَبَاءُ: القصبُ، ومعمعةُ الأباء: صوت الحريق في القصب.

(٤) المأسدةُ: الموضع الذي تجتمع فيه الأُسود. وتُسَنُّ: تُحدُّ. والمِذَادُ: موضعٌ بالمدينة حيث حُفر الخندق، وقيل هو بين سلع وخندق المدينة. والجزعُ: الجانب.

(٥) المعْلمِينَ: الذين يُعلِّمون أنفسهم في الحرب بعلامة يُعرفون بها.

(٦) ديوان كعب بن مالك :٢٤٤.

(٧) السَّابغة: الدُّروع الكاملة. النِّهْي: الغديرُ من الماء.

بَيْضَــاءَ مُحْكَمَــةٍ كَــأَنَّ قَتِيرَهــا حَـدَقُ الجَنَـادِبِ ذَاتَ شَـكٍّ مُوْثَـقِ[١]

جَــدْلاء يَحْفِزُهــا نِجَــادُ[٢] مُهنَّــدٍ صَــافِي الحَدِيــدَةِ صَــارِمٍ ذِي رَوْنَــقِ

تِلْكُـمْ مَـعَ التَّقْـوَى تَكُـونُ لِبَـاسَنَا يَـوْمَ الهِيَـاجِ وكُـلَّ سَـاعَةِ مَصْـدَقِ[٣]

والبيت الأخير يصوِّر أهمِّيَّة التّقوى والإيمان في الحروب التي يخوضها المسلمون؛ إذ ليس من طبعهم أن يركنوا إلى العدَّة المادِّيَّة دون أن يدَّخروا في نفوسهم زاد التَّقوى الذي يوصلهم إلى غايتهم الكبرى التي يبتغونها من وراء نصرتهم للإسلام.

أمَّـا الإعـداد للمعركـة- وهـو الجانـب الـذي أُمـر بـه المسـلمون وهـم يواجهـون أعداءهم- فيشير إليه كعب بن مالك من خلال إعداد الخيول الأصيلة المضمَّرة، التي تصعد بفرسانها إلى حلبة القتال، وتمكّنهم من اصطياد أعدائهم،والظَّفر عليهم، يقول:

ونُعِــدُّ للأَعْــدَاءِ كُــلَّ مُقَلَّــصٍ وَرْدٍ ومَحْجُـولِ القَوَائِـمِ أَبْلَـقِ[٤]

تَـرْدَى بِفُرْسَـانٍ كَـأَنَّ كُمَاتَهُـمْ عِنْـدَ الهِيَـاجِ أُسُـودُ طَـلٍّ مُلْثـقِ[٥]

صُـدُقٌ يُعَـاطُونَ الكُـمَاةَ حُتُـوفَهُمْ تَحْـتَ العَمَايَـةِ بالوَشِـيجِ المُزْهِـقِ[٦]

أَمَــرَ الإِلَــهُ بِرَبْطِهَــا لِعَــدُوِّهِ فِي الحَــرْبِ، إِنَّ اللهَ خَــيْرُ مُوَفِّــقِ

لِتَكُــونَ غَيْظــاً لِلْعَــدُوِّ وحُيَّــطاً للــدَّارِ إِنْ دَلَفَـتْ خُيُـول النُّـزَّقِ[٧]

ويُعِينُنَــا اللهُ العَــزِيزُ بِقُــوَّةٍ مِنْـهُ، وَصِـدْقِ الصَّـبْرِ سَـاعَةَ نَلْتَقِي

---

(١) القَتِيرُ: مساميرُ الدُّروع. والجنادبُ: ذكور الجراد. والشَّكُّ: إحكام السَّرد.

(٢) الجَدْلاء: الدُّروع المحكمة أو المدوَّرة الحلق. ويحفزها: يرفعها. والنِّجاد: حمائل السُّيوف.

(٣) ديوان كعب بن مالك :٢٤٥.

(٤) المقلَّص من الخيول: طويل القوائم ضامر البطن. والورد: الفرس الأشقر الذي حمرة لونه ذاهبة إلى الصُّفرة. والمحجول: الذي في قوائمه بياض يخالف سائر لونه. والأبلق: إذا تجاوز البياض إلى عضديه وفخذيه.

(٥) ترد: تُسرع. الكُمَاة: جمع كَمِيٍّ وهو الشُّجاع. المُلْثَقُ: ما يكون عن الطَّلِّ من زلقٍ وطين.

(٦) العِمَايَة: سحابةُ الغُبَار وظلمتُه. والوشيجُ: الرِّماحُ. المزْهِقُ: المذْهِبُ للنُّفوس.

(٧) دَلَفَتْ: تقدَّمت. النُّزَّقُ: الطَّائشون، السَّيئو الخلق.

ونُطِيــعُ أَمْــرَ نَبِيِّنَــا ونُجِيبُــه وإِذَا دَعَــا لِكَرِيهَــةٍ لم نُسْبَــقِ

ومَتَــى يُنَــاد إلى الشَّدَائِــدِ نَأْتِهَــا وَمَتَى نَرَ الحَوْمَاتِ(١) فيها نُعْنِقِ(٢)

وفي هذه الموقعة تظهر أكثر من قصيدة شعريَّة وهي تنافح عن المسلمين، وتردُّ عادية الأعداء، ومن تلك القصائد قصيدة حسان بن ثابت رضي الله عنه التي تصدَّى فيها للرَّدِّ على شاعر الكفَّار آنذاك عبد الله بن الزِّبعرى الذي أخذ يفتخر بموقف قومه يوم الخندق، ويتطاول على المؤمنين، وذلك في قصيدته البائيَّة(٣). حيث نظم حسَّان بائيَّته التي يردُّ فيها على ابن الزِّبعرى، ويبيِّن له الهدف البائس الذي جاءوا من أجله وهو قتل النبي ﷺ والاستيلاء على الغنائم، ولكنهم لم يظفروا من ذلك بشيء، يقول حسَّان:

حتَّــى إِذَا وَرَدُوا المدينــةَ وارْتَجَــوْا قَتْــلَ النَّبِــيِّ وَمَغْنَــمَ الأَسْــلابِ

وغَــدَوْا عَلَيْنَــا قَــادِرِينَ بِأَيْــدِهِمْ رُدُّوا بِغَيْظِهِــمُ عَــلَى الأَعْقَــابِ

بِهُبُــوبِ مُعْصِــفَةٍ تُفَــرِّقُ جَمْعَهُــمْ وجُنُــودِ رَبِّــكَ سَــيِّدِ الأَرْبَــابِ

وكَفَــى الإِلَــهُ المــؤمنينَ قِتَــالَهُمْ وأَثَــابَهُمْ في الأَجْــرِ خَــيْرَ ثَــوَابِ(٤)

ومن شعراء المشركين من ظلَّ يتوعَّد بعد هزيمة الخندق، ويعد بردٍّ قاسٍ في موقعة لاحقة يصطف منها جيش المشركين لمنازلة المسلمين، وذلك ما يعبِّر عنه شاعرهم ضرار بن الخطَّاب(٥) الذي رأى أنَّ المعركة لم تنته بعد، وأن المنازلة ستكون قريبة، حيث يعبِّر عن ذلك في قصيدته النونيَّة التي قال فيها:

---

(١) الحَوْمَاتُ: مواطن القتال، واحدها حَوْمَةٌ.

(٢) ديوان كعب بن مالك :٢٤٦ – ٢٤٧.

(٣) انظر: ديوان عبد الله بن الزِّبعرى :٢٩، والقصيدة مطلعها:

حَيِّ الدِّيَارَ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِها طُولُ البِلَى وتَرَاوُحُ الأَحْقَابِ

(٤) ديوان حسَّان بن ثابت :١٢٠.

(٥) هو ضرار بن الخطَّاب بن مرداس القرشي الفهري، فارس شاعر، قاتل المسلمين، واسلم يوم فتح مكَّة. (انظر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر ٣٣٧/١).

وَمُشْفِقَةٍ تَظُنُّ بنا الظُّنونَا   وقَدْ قُدْنَا عَرَنْدَسَةً طَحُونَا(١)

وسوفَ نَزوركُم عَمَّا قَرِيبٍ   كَمَا زُرْنَاكُمُ مُتَوَازِرِينَا

بِجَمْعٍ مِن كِنَانَةَ غير عُزْلٍ   كَأُسْدِ الغَابِ قد حَمَتِ العَرِينَا(٢)

لكنَّ كعب بن مالك ﷺ يردُّ على ضرار بن الخطَّاب، ويوضِّح له طبيعة القتال معه، وأسباب النَّصر التي تنزل عليهم من خالقهم، فهم يسعون إلى رفع راية الإسلام، يتقدَّمهم النَّبيُّ ﷺ الذي دعاهم إلى دين الهدى والحقِّ، وحثَّهم على الصَّبر واليقين في مواجهة الأعداء، حيث قال:

وسَائِلَةٍ تُسائِلُ ما لَقِينَا   ولو شَهِدَتْ رَأَتْنَا صَابِرِينَا

صَبَرْنَا لا نَرَى لِلَّهِ عِدْلاً(٥)   عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَا

وكانَ لنا النَّبيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ   بِهِ نَعْلُو البَرِيَّةَ أَجْمَعِينَا

نُقَاتِلُ مَعْشَراً ظَلَمُوا وعَقُّوا   وكانوا بالعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَا(٣)

نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا   بِضَرْبٍ يُعْجِلُ المُتَسَرِّعِينَا

وفي أَيْمَانِنَا بِيضٌ خِفَافٌ   بِهَا نَشْفِي مِرَاحَ الشَّاغِبِينَا(٤)

بِبَابِ الخَنْدَقَيْنِ كأَنَّ أُسْداً   شَوَابِكُهُنَّ يَحْمِينَ العَرِينَا

لِنَنْصُرَ أَحْمَداً واللَّهَ حتَّى   نكونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَا

ويَعْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا   وأَحْزَابٌ أَتَوْا مُتَحَزِّبِينَا

---

(١) العَرَنْدَسَةُ: الشَّديدةُ القويَّة، يريد الكتيبة. والطَّحون: التي تطحن كلَّ ما مرَّت به.

(٢) السِّيرة النَّبويَّة ٢٥٤ – ٢٥٥.

(٥) العِدْلُ: المِثْلُ.

(٣) المرْصِدُ: المعِدُّ للأمر عُدَّته.

(٤) المِرَاحُ: النَّشاط. والشَّاغبين: الذين ديدنهم الشَّغب وتهييج الشَّر.

بِــأَنَّ اللهَ لَـيْسَ لَـــهُ شَرِيـكٌ وأَنَّ اللهَ مَـــوْلَى المُؤْمِنِينَـــا(١)

وقـد أراد الرَّسـول ﷺ أن يُـؤمِّن المدينـة وحـدودها بعـد موقعـة الخنـدق مـع قـريش وبخاصَّة من الفتنة التي كان يوقد جذوتها يهود بني قريظة وبني النَّضير، الذين اشتركوا في موقعة الخندق مع قريش، وقصدوا إثارة الفتنة بين النَّاس في المدينة أثناء الموقعة، حيث نقضوا عهود الأمان التي أبرمها المسلمون، ولجأوا للغدر والمكيدة، لأجل ذلك وجَّه النَّبيُّ ﷺ جيشه لمحاربتهم، حيث حاصرهم في حصونهم، وانتصر عليهم، وباءت كل مكائدهم بالفشل، ونالوا جزاء ما كانوا يفعلونه مع المسلمين من الإخلاف بالعهد والتَّحالف مع المشركين، يقول حسَّان ﷺ:

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا سَاءَهـا وحَـــلَّ بِحِصْـنِها ذُلٌّ ذَلِيــلُ

فَمَا بَرِحُوا بِنَقْضِ العَهْدِ حَتَّى غَــزَاهُمْ في دِيَـارِهِمُ الرَّسُـولُ

أَحَاطَ بِحِصْنِهِمْ مِنَّا صُفُوفٌ لَـهُ مِـنْ حَرٍّ وَقْعَتِهَـا صَلِيـلُ

وَصَـارَ المؤمنـون بِـدَارِ خُلْــدٍ أَقَـامَ لَهُـمْ بِهَا ظِلٌّ ظَلِيــلُ(٢)

(٤) غزوة مؤتة:

كانت غزوة مؤتة – في السَّنة الثَّامنة للهجرة – أوَّل معركة تقع بين جيش المسلمين وجيش الرُّوم الذين وصلتهم الأخبار عن قوَّة ذلك الجيش المسلم، وكان سبب هذه الغزوة أنَّ النَّبيَّ ﷺ أرسل الحارث بن عمير بكتاب إلى أمير (بصرى) من جهة هرقل، وهو الحارث بن أبي شمَّر الغسَّاني، فلمَّا نزل مؤتة تعرَّض له شرحبيل بن عمرو الغسَّاني وقتله، فلمَّا بلغ الأمر رسول الله ﷺ اشتدَّ ذلك عليه، وجهَّز جيشاً لمقاتلة ملوك الرُّوم(٣). وقد أمر ﷺ مولاه زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف من المسلمين، وندب النَّاس وقال لهم:

(١) ديوان كعب بن مالك :٢٧٩ – ٢٨٠.

(٢) ديوان حسَّان بن ثابت :٢٤٥.

(٣) انظر: تأمُّلات في سيرة الرَّسول ﷺ، د. محمَّد السَّيِّد الوكيل :٢٣٧.

إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على النَّاس، فإنْ أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على النَّاس، فإنْ قتل ابن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم(١).

والتقى الجيشان جيش المسلمين وجيش الرُّوم - الَّذي كان يقدَّر عدده بمائتي ألف مقاتل - في مكان يقال له مؤتة، فقاتل زيد بن حارثة ﷺ براية رسول الله ﷺ حتَّى قُتِل في رماح القوم، ثمّ أخذ الرَّاية من بعده جعفر بن أبي طالب ﷺ فقاتل بها حتَّى إذا ألحمه القتال، وأحاط به العدو من كل جانب، اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها حتى لا تقع في يد العدوّ، ثم أقبل يقاتل وهو يردِّد أبياتاً تحمل معاني الشَّجاعة والبسالة والتَّضحية في ما عند الله من النَّعيم والرِّضوان، ودخول الجنان، فهو يقاتل ابتغاء ما عند الله، والجنة عنده أسمى مطلوب، وفي ذلك يقول ﷺ :

يَا حَبَّذَا الجنَّةُ واقْتِرَابُهَا	طَيِّبَةً وبَارداً شَرَابُهَا
والرُّومُ رُومٌ قد دَنَا عَذَابُها	كَافِرَةٌ بعيدةٌ أَنْسَابُهَا

عَلَيَّ إِذْ لاقَيْتُها ضِرَابُها(٢)

ثمَّ قاتل حتَّى قُتل ﷺ .

ثمّ أخذ الرَّاية من بعده عبد الله بن رواحة ﷺ فتقدَّم يقاتل الرُّوم، فداخل نفسه شيء من روع لا يخلو منه الموقف، فجعل يحفِّز نفسه ويشدُّ من عزيمتها، وهو يردِّد بعض الأبيات الشِّعريَّة التي يقول فيها:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ	لَتَنْزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّةْ(٣)	مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّةْ
قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّةْ	هَلْ أَنْتِ إِلاَّ نُطْفَةٌ فِي شَنَّةْ(٤)

ثمَّ تقدَّم يقاتل، فأُصيبت إصبعه، فارتجز قائلاً:

---

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٢/٣٧٣.

(٢) المصدر السابق ٢/٣٧٨.

(٣) أَجْلَبَ القومُ: صاحوا واجتمعوا. والرَّنَّةُ: صوتٌ فيه ترجيع يشبه البكاء.

(٤) ديوان عبد الله بن رواحة — ودراسة في سيرته وشعره — د. وليد قصَّاب :١٥٣.

هَـلْ أَنْـتِ إلا إِصْـبَعٌ دَمِيـتِ وفي سَـبِيلِ اللَّـهِ مَـا لَقِيـتِ

يَـا نَفْـسُ إلا تُقْـتَلِي تَمُـوتِي هذا حِيَاضُ المَوْتِ قد صَلِيتِ

ومـا تَمَنَّيْـتِ فقـد لَقِيـتِ إِنْ تَفْعَـلِي فِعْلَهُـمَا هُدِيـتِ

وإِنْ تَـأَخَّرْتِ فَقَـدْ شَقِيـتِ(١)

فقاتل حتَّى قُتل رضي الله عنه.

ومن القصص التي تروي صور البطولة والإقدام في حياة الشَّاعر عبد الله ابن رواحة رضي الله عنه تلك التي رواها ابن هشام. إذ يروي أنَّ رسول الله ﷺ حين جهَّز جيش المسلمين لملاقاة الرُّوم، وكان ابن رواحة القائد الثالث للمعركة إن استشهد سابقاه، وهما زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب -رضي الله عنهما- فلـمَّا وُدِّع عبد الله من رسول الله مع من وُدِّع بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حبُّ الدُّنيا ولا صبابة بكم، ولكنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آيةً من كتاب الله -عزَّ وجلَّ- يذكر فيها النَّار ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ (٢)، فلست أدري كيف لي بالصَّدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون: صَحِبَكُم الله، ودفع عنكم، وردَّكم إلينا صالحين(٣)، ثم أنشد ابن رواحة أبياتاً يعبِّر فيها عمَّا في نفسه وهو يسير في الجهاد راجياً مغفرة ربِّه ورضوانه، والفوز بالشَّهادة في سبيله، إذ قال:

لكنَّنـي أَسْـأَلُ الرَّحمـنَ مَغْفِـرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا(٤)

أَوْ طَعْنَـةً بِيَـدَيْ حَـرَّانَ مُجْهِـزَةً بِحَـرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشَاءَ والكَبِدَا(٥)

حَتَّـى يُقَـالُ إذا مَـرُّوا عَـلَى جَـدَثِي أَرْشَـدَهُ اللهُ مِنْ غَـازٍ وَقَـدْ رَشَـدَا(٦)

---

(١) ديوان عبد الله بن رواحة :١٥٤.

(٢) سورة مريم، الآية ٧١.

(٣) انظر: السِّيرة النَّبويَّة :٢/٣٧٣ - ٣٧٤.

(٤) ذات فرغ: الفرغُ مخرجُ الماء من الدَّلو. والزَّبدُ: الرَّغوة.

(٥) الحرَّان: العطشان. مُجهزة: مسرعة متمِّمة، يقال: أجهز على الجريح إذا أماته.

(٦) ديوان عبد الله بن رواحة :١٤٧.

وكان المسلمون لَـمَّا نزلوا (مَعَان) من أرض الشَّام هالهم ما رأوا من كثرة عدد الرُّوم وما يملكونه من عتاد، وبدأوا يفكِّرون في ذلك، وهل يرسلون إلى الرَّسول ﷺ يخبرونه بذلك أم لا ؟ فقام عبد الله بن رواحة ﷺ يشجِّعهم ويستحثُّهم على القتال، مبيِّناً لهم أنَّ النَّصر لا يتحقَّق عن كثرة العدد أو العُدَّة وإنَّما يتحقَّق بالصَّبر والمصابرة والطَّاعة والإخلاص في إعلاء راية الإسلام، وهزيمة المشركين، فالمجاهد في سبيل الله يقاتل الأعداء وهو يرجو الظَّفر بإحدى الحسنيين، إمَّا النَّصر وإمَّا الشَّهادة في سبيل الله[١].
فتشجَّع النَّاس وقالوا: قد –والله – صدق ابن رواحة، وأنشد في ذلك الموقف يقول:

جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ أَجَإٍ وفَرْعٍ[٢] ... تُغَرُّ من الحَشِيشِ لها العُكُومُ[٣]
حَذَوْنَاها مِنَ الصَّوَّانِ سَبْتاً ... أَزَلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ[٤]
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ على مَعَانٍ ... فَأَعْقَبَ بَعْدَ فَتْرَتِها جُمُومُ[٥]
فَرُحْنَا والجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ[٦] ... تَنَفَّسُ في مَنَاخِرِها السُّمُومُ
فلا وأبي مآبَ[٧] لنَأْتِيَنْها ... وإنْ كَانَتْ بها عَرَبٌ ورُومُ
فَعَبَّأْنَا أَعِنَّتَها فَجَاءَتْ ... عَوَابِسَ، والغُبارُ لها بَرِيمُ[٨]
بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ البَيْضَ فيهِ ... إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُها النُّجُومُ[٩]

---

(١) انظر: السِّيرة النَّبويَّة ٢/٣٧٥.

(٢) أجأ: أحد جبلي طيء، والآخر سلمى. والفرع: اسم موضع.

(٣) تغرُّ: تطعم شيئاً بعد شيء. والعُكومُ: جمع عِكْم، وهو الجنب.

(٤) الصَّوَّان: حجارةٌ مُلس، واحدتها صوانة. أزل: أملس. الأديم: الجلد.

(٥) الجموم: النَّشاط والرَّاحة.

(٦) مسوَّمات: معلَّمات.

(٧) مآب: اسم مدينة في طرف الشَّام من نواحي البلقاء.

(٨) البريم في الأصل: خيطان مختلفان أحمر وأبيض، وكلّ ما فيه لونان مختلطان فهو بريم.

(٩) اللجبُ: اختلاط الأصوات وكثرتها. والبَيْضُ: ما يوضع على الرَّأس من الحديد. والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضة.

فَرَاضِيَةٌ[1] المَعِيشَةِ طلَّقْتَهَا	أَسِنَّتُها، فتَنْكِحُ أَوْ تَئِيمُ[2]

وفي ليلة السَّفر إلى مؤتة، وبينما كان الطَّريق طويلاً وشاقّاً، كان عبد الله ابن رواحة رضي الله عنه يستغرق في الأمل بالشَّهادة والفوز برضوان الله - عزَّ وجلَّ - إذ ذهب يناجي ناقته، ويبشِّرها بتحريرها من الأسفار، فلا عودة إلى بلاد النَّخيل، لأنَّه عزم في قرارة نفسه على شدِّ الرِّحال إلى جوار ربِّه- جلَّ وعلا - حيث يقول:

إِذَا أَدَّيْتِنِي وحَمَلْتِ رَحْلِي	مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الحِسَاءِ[3]
فَشَأْنُكِ أَنْعُمٌ، وَخَلاكِ ذَمٌّ وَلا	أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
وجَاءَ المُسلمون وغادَرُوني	بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِيَ الثَّوَاءِ
وَرَدَّكِ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ	إِلَى الرَّحمنِ مُنْقَطِعَ الإِخَاءِ
هُنَالِكَ لا أُبَالِي طَلْعَ بَعْلٍ[4]	ولا نَخْلٍ أَسَافِلُهَا رِوَاءِ[5]

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من تعلُّق الشَّاعر بالشَّهادة، والسَّير لأجلها على راحلته، التي بلغته رحلته المأمولة، ولقي ما كان يرجوه من الاستشهاد في سبيل الله، والفوز برضوانه - عزَّ وجلَّ - وهي صورة مؤثِّرة تعكس روح التَّضحية والفداء التي قدَّمها أولئك المجاهدون في تلك الغزوات.

(٥) فتح مكَّة:

كانت الإرهاصات لهذا الفتح المجيد منذ وقت مبكِّر، ففي نهاية العام السادس للهجرة عزم النبيّ ﷺ أن يدخل مكَّة معتمراً، فاستنفر المؤمنين بالمدينة ليخرجوا معه،

(١) راضيةٌ: أي مرضيَّة.

(٢) ديوان عبد الله بن رواحة :١٤٩ - ١٥٠.

(٣) أَدَّيتني: أوصلتني. والحِساءُ: جمع حِسيٍ، وهو ماء يغور في الرَّمل.

(٤) البَعْلُ: النَّخْلُ الذي يشرب بعروقه من الأرض فيستغني عن السَّقي، ويقال: استبعل النَّخل: أي: شرب بعروقه.

(٥) ديوان عبد الله بن رواحة :١٥١.

فلمَّا شعر أهل مكَّة بقدومه أرسلت إليه قريش تستطلع الأمر أقتال أم عمرة، فلمَّا علموا بحقيقة الموقف أخذتهم العزَّة بالإثم، وطلبوا عقد هدنة مع النبي ﷺ والمسلمين تقضي بأن يكف عنهم القتال لعشرة أعوام وأن يرجع إلى المدينة عامهم هذا، فإذا انصرم جاء ومن معه من المسلمين معتمرين في العام القابل، وبعد عودته ﷺ إلى المدينة جرت أحداث كثيرة نقض المشركون خلالها الهدنة وأغاروا على (خزاعة) الداخلة في عهد رسول الله ﷺ، فجهَّز -عليه السلام- الجيش المؤمن وقاده إلى مكَّة، وحمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه اللواء، وفتحت مكَّة ودخلها رسول الله ﷺ ومن معه وكان ذلك نصراً عظيماً للمسلمين(١).

وقد واكب الشِّعر ذلك الفتح، وأشاد الشُّعراء بما تحقَّق للمسلمين في هذا الفتح من عزٍّ ومنعة ونصر للإسلام، حيث أظهرت القصائد الشِّعريَّة قدرة جيش المسلمين على الفتح، وتمكين الله تعالى لهم. ومن ذلك ما يظهر في قول بُجير بن زهير(٢) حين يصف هذا الفتح، ويشير إلى الطريقة التي التقى فيها الجمعان، جيش المسلمين بعزيمته وصبره وتوكله على الله تعالى، وجيش الكفر بتخاذله وانكساره، فكانت الصَّيحات والطِّعان وقفزات خيل المؤمنين معبرةً عن الفرح بنصر الله، فقد أنهال المؤمنون على خصومهم ضرباً بالسُّيوف، وطعناً بالرِّماح، حتَّى تحقَّق لهم ما كانوا يأملون فيه من الهجرة، وباء الكفَّار بالهزيمة والخسران، وفي ذلك يقول بُجير:

ضَرَبْنَاهُمْ بِمَكَّـةَ يَـوْمَ فَـتْحِ النَّـ ... ـبيِّ الخَـيْرِ بِـالبِيضِ الخِفَـافِ

صَبَحْنَاهُمْ بِسَبْعٍ(٣) مِـنْ سُـلَيْمٍ ... وأَلْـفٍ مِـن بَنِـي عُـثْمَانَ وَافِ

نَطَـا أَكْتَـافَهُمْ ضَرْبـاً وطَعْنـاً ... وَرَشْقـاً بالمريَّشَـةِ اللِّطَـافِ(٤)

تَـرَى بَـيْنَ الصُّـفُوفِ لَهَـا حَفِيفـاً ... كَـمَا انصَـاعَ الفُـوَاقُ مِـنَ الرِّصَـافِ(٥)

---

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :٢٢١-٢٢٢.

(٢) هو: بجير بن زهير بن أبي سلمى المزني، أسلم قبل السَّنة السَّابعة للهجرة، ودعا أخاه كعباً للإسلام، وشهد مع المسلمين بعض الغزوات ومنها فتح مكَّة. (انظر: الإصابة في تمييز الصَّحابة ١٤١/٢).

(٣) بسبع: أي بسبع مائة. وبنو عثمان: هم مُزينة.

(٤) نَطَا: أراد نَطَأْ، فخفَّف الهمزة. والرَّشْقُ: الرَّمي السَّريع. والمريشةُ: يعني السِّهام ذوات الريش.

(٥) الحفيفُ: الصَّوت. وانصاع: انشقَّ. والفواقُ هنا: الفوق، وهو طرف السَّهم الذي يلي الوتر. والرَّصافُ:

فَرُحْنَا والجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ	بأَرْمَاحٍ مُقَوَّمَةِ الثِّقَافِ
فَأُبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا	وآبُوا نَادِمِينَ عَلَى الخِلَافِ
وأَعْطَيْنَا رَسُولَ الله مِنَّا	مَوَاثِقَنَا عَلَى حُسْنِ التَّصَافِي
وقد سَمِعُوا مَقَالَتَنَا فَهَمُّوا	غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنَّا بِانْصِرَافِ

ويتوقَّف العبَّاسُ بن مرداس السُّلمي[1] ﷺ عند فتح مكَّة بعد أن اشترك مع قومه من بني سُلَيْم في ذلك الفتح، حيث يبيِّن في إحدى قصائده القوَّة العدديَّة لقومه الذين شاركوا تحت إمرة النَّبيِّ الكريم ﷺ موضِّحاً ما كانوا عليه من الإقدام، والبسالة، والتَّضحية من أجل تحقيق النَّصر، حيث يقول:

مِنَّا بِمَكَّةَ يومَ فَتْحِ محمَّدٍ	أَلْفٌ تَسِيلُ بِهِ البِطَاحُ[2] مُسَوَّمُ
نَصَرُوا الرَّسُولَ، وشَاهَدُوا أَيَّامَهُ	وشِعَارُهُمْ[3] يومَ اللِّقاءِ مُقَدَّمُ
في مَنْزِلٍ ثَبَتَتْ بِهِ أَقْدَامُهُمْ	ضَنْكٍ كَأَنَّ الهَامَ فيهِ الحَنْتَمُ[4]
جَرَّتْ سَنَابِكَها بِنَجْدٍ قَبْلَها	حتَّى اسْتَقَادَ لها الحِجَازُ الأَدْهَمُ
اللَّهُ مَكَّنَهُ لَهُ وأَذَلَّهُ	حُكْمُ السُّيُوفِ لَنَا وجَدٌّ مِزْحَمُ[5]

جمع رصفة، وهي عصبةٌ تلوى فوق السَّهم.

(١) هو: العبَّاس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة السُّلمي، يكنَّى أبا الهيثم، وهو من شعراء البادية، أسلم قبيل فتح مكَّة، وشارك مع قومه في الجهاد ونصرة الإسلام، توفي سنة ١٨هـ. (انظر: الإصابة لابن حجر ٣٤٢/١).

(٢) البِطاحُ: جمع بطحاء، وهي الأرض السَّهلة المتسعة.

(٣) شعارهم: علامتهم في الحرب.

(٤) ضنك: ضيِّق. والهام: الرؤوس. والحنتم: الحنظل.

(٥) مزحم: كثير المزاحمة، يريد أنَّ جدَّهم غالب.

عَـوْدُ الـرِّيَاسَةِ شَـامِخٌ[١] عِرْنِينُـهُ   مُتَطَلِّـعٌ ثغـرَ المَكَـارِمِ خِضْرِمُ[٢]

وينطلق حسَّان بن ثابت رضي الله عنه في همزيَّته من جانب الدِّفاع عن الدَّعوة الإسلاميَّة وصاحبها ﷺ الذي ما فتئ المشركون يكيلون له السِّباب، والتُّهم، ويرمونه بأبشع الصِّفات في وقت هو يسعى إلى هدايتهم ودخولهم الدِّين الحق لينعموا بسماحته وعدله، ولكن أئمَّة الكفر ورؤوس الفتنة ظلُّوا يكيدون له، ولذا هجاهم حسَّان ر بما قدَّمت أيديهم في تعذيب المؤمنين[٣]، والتَّطاول على سيد المرسلين ﷺ، حيث يقول:

أَلاَ أَبْلِـغْ أَبَـا سُـفْيَانَ[٤] عَنِّـي   فأنـتَ مُجَـوَّفٌ نَخِـبٌ هَـوَاءُ

هَجَـوْتَ محمَّـداً فأَجَبْـتُ عنـهُ   وعنـدَ اللهِ في ذاكَ الجـزاءُ

أَتَهْجُـوهُ وَلَسْـتَ لَـهُ بكُـفْءٍ   فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُمَا الفِـدَاءُ

هَجَـوْتَ مُبَارَكـاً بـرّاً حَنِيـفاً   أَمِينُ اللهِ، شِيمَتُـهُ الوفـاءُ

فَمَـنْ يَهْجُـو رَسُـولَ اللهِ مِـنْكُمْ   ويَمْدَحُـهُ ويَنْصُرُهُ سَـواءُ

فَـإِنَّ أَبِي وَوَالِـدَهُ وَعِـرْضِي   لِعِـرْضِ محمَّـدٍ مِـنْكُمْ وِقَـاءُ

لِسَـانِي صَـارِمٌ لاَ عَيْـبَ فيـهِ   وَبَحْرِي مَا تُكَدِّرُهُ الـدِّلاَءُ[٥]

وكما يظهر في البيت الأخير فإنَّ حسَّان رضي الله عنه يفخر بفصاحته وبلاغته وجودة شعره، فإذا كان الأعداء يظنُّون أنهم ينالون من المسلمين بشعرهم فإنَّ هذا السلاح هو أمضى وأقوى لدى المسلمين؛ لأنهم يدعون إلى الحق، ويذودون عن عقيدتهم بسنانهم ولسانهم.

ويصف العبَّاس بن مرداس رضي الله عنه طريقة الجيش الفاتح في السير إلى الجهاد، وكيف

---

(١) العَوْدُ (هنا): الرَّجلُ المسِنُّ. وشامخٌ: مرتفع ، والخضرمُ: الجواد الكثير العطاء.

(٢) السِّيرة النَّبويَّة ٢/٤٢٦ – ٤٢٧.

(٣) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :٢٢٨.

(٤) هو أبو سفيان الحارث بن عبد المطلب.

(٥) ديوان حسَّان بن ثابت :٧٥-٧٦.

أنهم يسيرون تحت إمرة النبي الكريم ﷺ ويطيعونه فيما أمر، ويجتنبون ما نهى عنه، الأمر الذي حقَّق لهم الفلاح، وأخضع الأقوام للدخول في دين الله، وفي ذلك يقول:

فَمَنْ مُبْلِغُ الأَقْوَامَ أنَّ محمَّداً ... رَسُولُ الإلهِ راشِدٌ حَيْثُ يمَّمَا

دَعَا ربَّه واستنصرَ اللهَ وَحْدَه ... فَأَصْبَحَ قَدْ وَفَّى إليه وأَنْعَمَا

سَرَيْنَا ووَاعَدْنَا قَدِيداً محمَّداً ... يَؤُمُّ بنا أمراً من الله مُحْكَمَا

تَمَارُوا بِنَا في الفَجْرِ حَتَّى تبيَّنوا ... مع الفجر فتياناً وغاباً مُقَوَّمَا

فإنَّ سَرَاةَ الحيِّ إن كنتَ سائلاً ... سُلَيْمٌ وفيهم منهمُ مَن تَسَلَّمَا

وجُندٌ مِنَ الأَنْصَارِ لا يَخْذُلُونَه ... أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَه ما تَكَلَّمَا[1]

وبعد الفتح الإسلامي وما أدخله من فرح في النُّفوس توجَّه المسلمون بقيادة الرَّسول ﷺ إلى الطَّائف لدعوة أهلها إلى الدُّخول في الإسلام، وبيان موقفهم منه، وكان مع الرَّكب المتَّجه إلى الطَّائف كعب بن مالك ﷺ الَّذي نظم قصيدته في وصف المعارك التي خاضها جيش المؤمنين، وقد تكلَّلت بالنَّصر المؤزِّر، وما تبع ذلك من دخول الناس في دين الله أفواجاً حتى وصل ذلك الجيش إلى الطائف[2]، ليكمل رسالته في نشر الدَّعوة الإسلاميَّة، حيث يقول كعب في مطلع قصيدته:

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ ... وخَيْبَرَ، ثُمَّ أَجْمَمْنَا[3] السُّيُوفَا

نُخَيِّرُهَا، وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ ... قَوَاطِعُهُنَّ: دَوْساً أَوْ ثَقِيفَا

فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ[4] إِنْ لَمْ تَرَوْها ... بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنَّا أُلُوفَا

---

(١) السِّيرة النَّبويَّة ٤/١١٠-١١١.

(٢) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :٢٣٩.

(٣) أَجْمَمْنَا: أَرَحْنَا.

(٤) الحَاضِنُ: المرأةُ التي تحضن ولدها.

ونَنْتَــزِعُ العُــرُوشَ بِــبَطْنِ (وَجٍّ)[١] **وتُصْبِحُ دُورُكُمْ مِنَّا خُلُوفَا**

ويَـأْتِيكُمْ لَنَـا سَرَعَـانُ خَيْـلٍ **يُغَـادِرُ خَلْفَـهُ جَمْعـاً كَثِيفـاً**

بِأَيْـدِيهِمْ قَوَاضِـبُ مُرْهَفَـاتٌ **يُـزِرْنَ المُصْـطَلِينَ بهـا الحُتُوفَـا**

كَأَمْثَـالِ العَقَـائِقِ أَخْلَصَتْهـا **قُيُونُ الهِنْدِ لم تُضْرَبْ كَتِيفَـا[٢]**

تَخَـالُ جَدِيَّـةَ الأَبْطَـالِ فيهـا **غَـدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيّاً[٣] مَدُوفَـا[٤]**

وبعد هذه المقدِّمة التي أبان فيها كعب ﷺ عمَّا صنعه المسلمون مع أعداء الدَّعوة الذين لم يستجيبوا لنداء الحقِّ، انطلق بعد ذلك إلى إنذار المشركين بما ينتظرهم من سوء العاقبة إن لم يتَّبعوا الطَّريق الحقِّ، وإشهادهم بأنَّهم قادمون، فمن آثر السَّلام فليسلم بما جاء به المصطفى ﷺ ليعيش عيشة راضيةً، ومن لم يسلم، أو تحدِّثه نفسه بالموادعة، فليتحمَّل وزره ووزر من اتَّبعه، أو استجاب لنصحه[٥]، حيث ينطلق كعب في هذا المعنى فيقول:

أَجِـدَّهُمُ أَلَيسَ لَهُـمْ نَصِيـحٌ **مِنَ الأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَـا[٦]**

يُخَبِّرُهُـمْ بِأَنَّـا قَـدْ جَمَعْنَـا **عِتَـاقَ الخَيْـلِ والنُّجُـبَ الطُّرُوفَـا[٧]**

---

(١) وَجٌّ: من أسماء الطَّائف. (انظر: معجم البلدان ٥/٣٦١).

(٢) العقائقُ: جمع عقيقةٍ، وهي شعاعُ البرق. وكتيف: جمع كتيفة، وهي الصَّفائح الحديد التي تستعمل في صنع الأبواب.

(٣) الجديَّةُ: الطَّريقةُ من الدَّم. والجاديُّ: الزَّعفران. ومدوفٌ: مخلوط بغيره.

(٤) ديوان كعب بن مالك :٢٣٤ – ٢٣٥.

(٥) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر :٢٤٠.

(٦) أَجِدَّهُمُ: بكسر الجيم وفتحها بمعنى: أَبِجِدٍّ منك هذا، ونُصبت على طرح الباء. وعَرِيفاً: عارفاً.

(٧) عِتَاقُ: جمع عتيق. والنُّجُبُ: جمع نجيب. والطُّرُوف: جمع طِرْفٍ (بكسر الطَّاء)، وكلُّها صفات للخيل بمعنى: الكريمة الأصل.

وأَنَّــا قَــدْ أَتَيْنَــاهُمْ بِزَحْــفٍ يُحِيطُ بِسُـورِ حِصْنِهِمُ صُـفُوفَا
رَئِيسُــهُمُ النَّبِــيُّ وكَــانَ صـلباً نَقِـيَّ القَلْـبِ مُصْـطَبِراً عَزُوفَـا
رَشِـيدَ الأَمْـرِ ذُو حُكْـمٍ وعِلْـمٍ وحِلْـمٍ لم يَكُـنْ نَزِقـاً خَفِيفَــا
نُطِيــعُ نَبِيَّنَــا ونُطِيــعُ رَبّــاً هُـوَ الـرَّحمنُ كَـانَ بِنَـا رَؤُوفَــا
فَـإِنْ تُلْقُـوْا إِلَيْنَـا السِّـلْمَ نَقْبَـلْ ونَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُداً وَرِيفَـا(١)
وإِنْ تَـأْبَوْا نُجَاهِـدْكُمْ ونَصْـبِرْ ولا يَـكُ أَمْرُنَـا رَعِشـاً ضَـعِيفَا
نُجَــالِدُ مَــا بَقِينَــا أَوْ تُنِيبُــوا إِلَى الإِســلامِ إِذْعَــاناً مُضِــيفَا(٢)
نُجَــاهِدُ لا نُبَــالِي مَــنْ لَقِينَــا أَأَهْلَكْنَــا التِّــلادَ أَم الطَّرِيفَــا
لأَمْــرِ اللهِ والإِسْــلامِ حَتَّــى يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَـدِلاً حَنِيفَـا(٣)

فقـد أبـان كعـب ﷺ في هـذه الأبيـات عـن السَّـبب في المضيِّ إلى الجهـاد وتحقيـق الانتصارات وهو الدَّعوة إلى الإسلام والدُّخول فيه، وإخراج النَّاس من دياجير الشِّرك والضَّلال إلى أنوار الهداية والإيمان، لذا كانت هـذه الـدَّعوة هـي السِّـمة البـارزة في شـعر الغزوات، حيث أبان الشُّعراء في كثير من قصائدهم عن حرصهم على دخـول النَّـاس في هذه الدَّعوة المباركة، والاستنارة بنـور الإسـلام، كـي يتفيَّـؤا ظلالـه، وينعمـوا بسـماحته وعدله.

* * *

(١) الرِّيفُ: الموضع المخصب على الماء. يريد نتَّخذكم أعواناً على الحرب، ونستمدُّ من ريفكم العيش.

(٢) نُجَالِدُ: نحارب بالسُّيوف. ومضيفاً: ملجئاً.

(٣) ديوان كعب بن مالك :٢٣٥ – ٢٣٧.

الفصل الثَّاني : القيم الفنيِّة في شعر الغزوات

أوَّلاً: أثر القرآن الكريم في أسلوب الشِّعر

من الجوانب البارزة في شعر الغزوات ما اتَّسم به ذلك الشِّعر من الميل إلى الألفاظ والمعاني القرآنيَّة، وذلك من خلال الاقتباس من الذِّكر الحكيم، فقد تأثَّر الشُّعراء من الصَّحابة – رضوان الله تعالى عليهم – بالقرآن الكريم وببديع أسلوبه وجمال معانيه، فكان أسلوبه المعجز محلَّ اهتمامهم وإجلالهم، ولذا فقد عمدوا إلى الاستنارة بنوره، والإفادة من معانيه السَّامية في أشعارهم، وهو ما ظهر جليّاً في اقتباسات حسَّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وغيرهم من الصَّحابة – رضوان الله تعالى عليهم – وهو ما سيتَّضح من خلال الوقوف على تلك الأشعار.

الاقتباس من القرآن الكريم:

توقَّف شعراء الغزوات عند بعض الآيات القرآنيَّة، وتمثَّلوا معانيها، وأدخلوها في أشعارهم التي تتحدَّث عن نصرة الإسلام، والدِّفاع عن العقيدة الإسلاميَّة، والتَّصدِّي للمشركين الذين ما فتئوا ينالون من المسلمين، ويتعرَّضون لهم بالهجاء. وكان من أولئك المتأثِّرين بالقرآن الكريم حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ فقد عبَّر شعر الغزوات عنده عن معانٍ إيمانيَّة عميقة، تستلهم رؤيتها الحقَّة من القرآن الكريم، ومن ذلك ما يظهر في قوله:

وقُلْتُمُ لَنْ نُرَى، واللهُ يُبْصِرُكُمْ ... وفِيكُمُ مُحْكَمُ الآيَاتِ والقِيلِ

محمَّدٌ والعَزِيزُ اللهُ يُخْبِرُهُ ... بِمَا تُكِنُّ سَرِيرَاتُ الأَقَاوِيلِ(١)

فالبيت الأول مقتبس من قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٢). والبيت الثاني مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾(٣).

وفي رائية كعب بن مالك ﷺ التي ردَّ بها على قصيدة ضرار بن الخطَّاب يقول في مطلعها:

عَجِبْتُ لأَمْرِ اللهِ واللهُ قَادِرٌ ... عَلَى مَا أَرَادَ لَيْسَ للهِ قَاهِرُ(٤)

---

(١) ديوان حسَّان بن ثابت :٣٠٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

(٣) سورة القصص، الآية ٦٩.

(٤) ديوان كعب بن مالك :١٣٨.

فالبيت فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾(١). ويقول كعب رضي الله عنه في بعض معانيه التي تستلهم المعاني القرآنية:

فَـإِنْ يَـكُ مُوسَـى كَلَّـمَ اللهُ جهـرةً ... عـلى جَبَـلِ الطُّـورِ المنيـفِ المعظَّـمِ

فقـد كَلَّـمَ اللهُ النـبيَّ محمَّـداً ... عـلى المَوْضِـعِ الأَعْـلَى الرَّفِيـعِ المسـوَّمِ

وإِنْ تَكُ نَمْلُ البَرِّ بالوهم كلَّمَتْ ... سُلَيْمَانَ ذا الملك الذي ليس بالعمي(٢)

فهـذا نبـيُّ اللهِ أحمـد سـبَّحَتْ ... صِغَـارُ الحَصَى في كفِّـهِ بـالتَّرنُّمِ(٣)

فالبيت الأول مقتبس من قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلًا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾(٤).

أمَّا البيت الثَّاني فيشير إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾(٥).

وحين يصف كعب رضي الله عنه عدَّة الجيش المسلم فإنَّه يجعل في مقدِّمتها التَّقوى، فهي خير ما يتمسَّك به المؤمن ليحظى بالنَّصر والتَّأييد من خالقه -عزَّ وجلَّ- وفي ذلك يقول:

تِلْكُمْ مَعَ التَّقْوَى تكونُ لِبَاسَنَا ... يَـوْمَ الهِيَاجِ وكل ساعةِ مَصْدَقِ(٦)

ففي هذا البيت إشارة إلى قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ﴾(٧)

وفي غزوة مؤتة تظهر شجاعة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وبسالته فهو يطلب الجنَّة وما فيها من نعيم ورضوان، فيقول:

---

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

(٢) ديوان كعب بن مالك :١٣٩.

(٣) المصدر السابق :٢٧٠.

(٤) سورة النِّساء، الآية ١٦٤.

(٥) سورة النَمل، الآية ١٨.

(٦) ديوان كعب بن مالك ص١٤٠.

(٧) سورة الأعراف، الآية ٢٦.

يــا حَبَّــذَا الجَنَّــةُ واقْتِرَابُهــا   طَيِّبَــةً وبَــارداً شَرَابُــها[١]

ويصف كعب بن مالك ﷺ دعوة النبي ﷺ لقريش للدُّخول في الإسلام وترك المعتقدات الباطلة التي يعتقدونها فكان جوابهم الإساءة لشخص النبي ﷺ، حيث يقول كعب:

وكَانَ رَسُولُ الله قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا   فَوَلَّوْا وقَالُوا إنَّما أَنْتَ سَاحِرُ[٢]

ففي هذا المعنى إشارة إلى قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾[٣].

وفي غزوة مؤتة وقف عبد الله بن رواحة ﷺ ذلك الموقف البطولي، وذلك حين خاطب نفسه راجياً منها أن تطلب الشَّهادة في سبيل الله، وترجو ما عند الله – عزَّ وجلَّ – حيث يقول:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ   طَائِعَةً أَوْ لا لَتُكْرَهِنَّهْ

قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّةْ   جَعْفَرُ مَا أَطْيَبَ رِيحَ الجَنَّةْ![٤]

حيث يشير في الشَّطر الثَّاني من البيت الثَّاني إلى المعنى الوارد في قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾[٥].

وفي شعر حسَّان بن ثابت ﷺ تظهر رباطة المجاهد المسلم المتوكِّل على الله، الذي لا يخشى كثرة عدد الأعداء ولا عُدَّتهم، إذ يقول:

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ الله قَوْماً   وإِن كَثُرُوا وأُجْمَعَتِ الزُّحوفُ

إذا ما أَلَّبُوا جَمْعاً عَلَيْنَا   كفانا حدَّهم رَبٌّ رؤوفُ

---

(١) السِّيرة النَّبويَّة ٢/٣٧٨.

(٢) ديوان كعب بن مالك :١٣٩.

(٣) سورة ص، الآية ٤.

(٤) ديوان عبد الله بن رواحة :١٥٣.

(٥) سورة الواقعة، الآية ٨٨- ٨٩.

لَقِينَاهُــمْ بهـا لَمَّـا سَمَوْنـا ونحــن عِصَـابَةٌ وهُـمُ أُلُـوفُ[1]

ففي هذه الأبيات يظهر أثر المعاني القرآنية، حيث يشير البيت الأول إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[2].

وفي البيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

ويشير عبد الله بن رواحة ﷺ إلى جهاد المسلمين، فيقول:

نُجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عِرْضٍ فَنَأْسِرُهُمْ فِينَـا النَّبِـيُّ، وفِينَـا تَنْـزِلُ السُّـوَرُ[4]

فلفظة (سورة) في الشَّطر الثَّاني مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[5].

ويصف كعب بن مالك ﷺ خيول المسلمين التي أُعدَّت لحرب المشركين في موقعة الخندق، وما اتَّصفت به من الصِّفات، فيقول:

ونُعِـدُّ لِلأَعْـدَاءِ كُـلَّ مُقَلَّـصٍ وَرْدٍ، ومَحْجُـولَ القَـوَائِمِ أَبْلَـقِ[6]

أَمَـرَ الإِلَـهُ بِرَبْطِهَـا لِعَـدُوِّهِ فِي الحَـرْبِ إِنَّ اللهَ خَـيْرُ مُـوَفِّقِ[7]

فهـذا المعنـى فيـه إشـارة إلى قـول الحـقِّ – تبـارك وتعـالى –: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا

---

(١) ديوان حسَّان :٣٥٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٩-١٠.

(٤) ديوان عبد الله بن رواحة :٨٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٢.

(٦) ديوان كعب بن مالك :١٤٠.

(٧) المصدر السابق :٢٤٤.

ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾(١).

وعلى هذا النَّحو فقد ظهر أثر القرآن الكريم في أساليب الشُّعراء، الذين تحدَّثوا عن الغزوات، ونافحوا عن عقيدتهم، وتصدَّوا للمشركين في كثير من المواقع، وقد أعطى ذلك التَّأثُّر شعرهم قوَّةً في التَّعبير، وأسلوباً سهلاً أزاح عن طريقهم خشونة الألفاظ الجاهليَّة التي كانت سمةً بارزةً قبل ظهور الإسلام.

* * *

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

ثانياً: اللغة الشعرية:

اللُّغة عنصر رئيس من عناصر الإبداع الشِّعري، وهي الوسيلة التي تفصح عن مدلول الشَّاعر ومراده، وذلك من خلال ما يبثُّه في شعره من مشاعر وشجون.

والشِّعر الجيِّد هو الذي يمتاز بتجانس الألفاظ والمعاني، فترقُّ تلك الألفاظ في المواضع التي تتطلَّب الرِّقَّة، وتجزل وتشتدُّ في المواضع التي تتطلَّب الشِّدَّة والفخامة، وهو ما دعا إليه القاضي الجرجاني في قوله: ((أرى لك أن تقسِّم الألفاظ على رتب المعاني))(١).

والمتأمِّل في ألفاظ شعر الغزوات يجد أنَّها اتَّسمت في جانب كبير منها بالجزالة، وقد حدَّد النُّقَّاد ملامح اللفظ الجزل في الكلام بأنَّه هو الذي ((يكون متيناً على عذوبته في الفم، ولذاذته في السَّمع))(٢)، فلا تشوبه وحشيَّة أو وعورة، كما بيَّنوا المواضع التي يستعمل فيها اللفظ الجزل، ومنها ما ((يكون في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التَّهديد والتَّخويف، وأشباه ذلك))(٣).

ومن أمثلة ذلك ما يظهر في قصيدة كعب بن مالك ﷺ في موقعة الخندق، التي يقول فيها:

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بَعْضُهُ ... بَعْضاً كَمَعْمَعَةِ الأَبَاءِ المُحْرَقِ

فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً تُسَنُّ سُيوفُها ... بينَ المِذَادِ وبينَ جِزْعِ الخَنْدَقِ

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا ... قُدُماً، ونُلْحِقُها إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

فَتَرَى الجَمَاجِمَ ضَاحِياً هَامَاتُها ... بَلْهَ الأَكُفَّ كَأَنَّها لم تُخْلَقِ

نَلْقَى العَدُوَّ بِفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ ... تنفي الجُمُوعَ كَقَصْدِ رَأْسِ المَشْرِقِ

ونُعِدُّ للأَعْدَاءِ كُلَّ مُقَلَّصٍ ... وَرْدٍ ومَحْجُولِ القَوَائِمِ أَبْلَقِ

تَرْدَى بِفُرْسَان كَأَنَّ كُمَاتَهُمْ ... عِنْدَ الهِيَاجِ أُسُودُ طَلٍّ مُلْثِقِ(٤)

حيث يصف كعب ﷺ حماسة جيش المسلمين، واستعدادهم للقاء المتحزِّبين من المشركين في يوم الخندق، وقدرتهم على إلحاق الهزيمة بهم إذا قدموا لحرب المسلمين، مبيِّناً ما امتاز به ذلك

(١) الوساطة بين المتنبِّي وخصومه :٢٤.

(٢) المثل السَّائر في أدب الكاتب والشَّاعر ١/١٨٥.

(٣) المصدر السَّابق ١/١٨٥.

(٤) ديوان كعب بن مالك :٢٤٥ – ٢٤٦.

الجيش من التَّعوُّد على خوض المعارك ومنازلة الأعداء، وإعمال السُّيوف فيهم، حيث يظهر دور الفرسان المسلمين على خيولهم المضمَّرة المعدَّة للقتال فكأنَّهم أسود يحمون عرينهم، ويدافعون عنه بكلِّ بسالة، وقد اعتمد الشَّاعر في وصف تلك المشاهد الحماسيَّة على الألفاظ الجزلة، ومن تلك الكلمات (ضرب، يمعمع، المحرق، مأسدةً، سيوفها، الجماجم، هاماتها، العدو، بفخمة، ملمومة، مقلَّص، ورد، محجول، أبلق، بفرسان، كماتهم، الهياج، أسود، ملثق) فهي ألفاظ تتَّسم بالقوَّة، وشدَّة الجرس، وتوحي بجوِّ المعركة، وما يكتنفه من اصطدام الجيوش، وصليل السُّيوف، وشدَّة إعمالها في الأعداء.

ويستخدم العبَّاس بن مرداس ﷺ الألفاظ الجزلة في وصف فتح مكَّة، وما تحقَّق فيه للمسلمين من عزٍّ ومنعة، يقول:

مِنَّا بِمَكَّةَ يومَ فَتْحِ محمَّدٍ ... أَلْفٌ تَسِيلُ بِهِ البِطَاحُ مُسَوَّمُ

في مَنْزِلٍ ثَبَتَتْ بِهِ أَقْدَامُهُمْ ... ضَنْكٍ كَأَنَّ الهَامَ فيهِ الحَنْتَمُ

جَرَّتْ سَنَابِكَها بنجدٍ قَبْلَهَا ... حتَّى اسْتَقَادَ لها الحِجَازُ الأَدْهَمُ(١)

فالشَّاعر هنا يصوِّر ما دار يوم فتح مكَّة من حشد الجيوش المتأهِّبة للفتح، ومنهم قومه من بني سُليم الذين شاركوا بفرسانهم في ذلك الفتح، وأظهروا ثباتهم ورباطة جأشهم في تلك المناسبة العظيمة، وقد ألبس الشَّاعر تلك المعاني ألفاظاً تناسبها في القوَّة والشِّدَّة، وتوحي بصور البسالة والإقدام، حيث اعتمد في ذلك على ألفاظ اتَّسمت بالمتانة والجزالة، ومن تلك الألفاظ ((تسيل، البطاح، مسوَّم، ضنك، الهام، الحنتم، جرَّت، سنابكها، استقاد، الأدهم) فهذه الألفاظ ترسم صورةً تموج بالحركة والقوَّة، لتجسِّد ما شهده ذلك الفتح من قوَّة وشجاعة من قبل جيش المسلمين.

ومن الجوانب البارزة في شعر الجهاد شيوع الألفاظ الإسلاميَّة التي جاءت مع الدِّين الجديد، حيث تأثَّر بها الشُّعراء، وأدخلوها في معجمهم الشِّعري، فجاءت قصائدهم الشِّعريَّة تحفل بتلك الألفاظ، التي هي مظهر من مظاهر الشِّعر في عصر صدر الإسلام(٢). ومن أمثلة ذلك ما يظهر في قول حسَّان بن ثابت ﷺ في موقعة الخندق:

---

(١) السِّيرة النَّبويَّة ٢/٤٢٦.

(٢) انظر: الشِّعر الإسلامي في صدر الإسلام د. عبد الله الحامد :١٠٥، شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام لأيهم القيسي :٣١٧، الأدب في عصر النُّبوَّة والرَّاشدين د. صلاح الدِّين الهادي :٢٥٩.

وكَفَى الإلَـهُ المـؤمنين قِتَـالَهُمْ ... وأثَـابَهُمْ في الأَجْـرِ خَـيْرَ ثَـوَابِ

مِـنْ بَعْـدِ مَـا قَنَطُـوا فَفَـرَّجَ عَـنْهُمُ ... تَنْزِيـلُ نَـصٍّ مَلِيكِنَـا الوَهَّـابِ

وأَقَـرَّ عَـيْنَ مُحَمَّـدٍ وصِحَابِـهِ ... وأَذَلَّ كُـلَّ مُكَـذِّبٍ مُرْتَـابِ

مُسْتَشْـعِرٍ لِلْكُفْـرِ دُونَ ثِيَابِـهِ ... والكُفْـرُ لـيسَ بِطَـاهِرِ الأَثْـوَابِ(١)

فالشَّاعر يشير إلى ما آلت إليه موقعة الخندق من تفرُّق جموع المشركين، وتشتُّت حشودهم، ورجوعهم خائبين، وقد كفى الله المؤمنين القتال، وأثابهم الأجر على ما بذلوا في مواجهة الكفَّار، حيث كانت العزَّة للمسلمين، والذِّلَّة والخزي للكافرين.. وقد جاء النَّصُّ يزخر بالألفاظ الإسلاميَّة، ومن ذلك (الإله، المؤمنين، أثابهم، الأجر، ثواب، تنزيل، نص، مليكنا، الوهَّاب، صحابه، مكذِّب، مرتاب، الكفر، طاهر) فهذه الألفاظ أبانت عن المعنى العام الذي قصد إليه الشَّاعر، وأكسبته دلالةً جديدةً، تدلُّ على تأثُّر حسَّان ﷺ بالمعاني الإسلاميَّة، والقيم الدِّينيَّة الَّتي أتى بها الدِّين الحنيف.

ويشير كعب بن مالك ﷺ إلى أنَّ الدَّعوة إلى الإسلام، والحرص على دخول النَّاس فيه هو السَّبب في مسيرة الجهاد، وانطلاق المسلمين لإعلاء راية الحقِّ، حتَّى ينتشر الإسلام في شتَّى الأصقاع، يقول:

نُجَـالِدُ مَـا بَقِينَـا أَوْ تُنِيبُـوا ... إِلَى الإسـلامِ إِذْعَـاناً مُضِـيفَا

نُجَـاهِدُ لا نُبَـالِي مَـنْ لَقِينَـا ... أَأَهْلَكْنَـا التِّـلادَ أَم الطَّرِيفَـا

لأَمْـرِ اللهِ والإِسْـلامِ حَتَّـى ... يَقُـومَ الـدِّينُ مُعْتَـدِلاً حَنِيفَـا(٢)

فقد اعتمد الشَّاعر في أبياته على القاموس الإسلامي، واختار منه ما يعبِّر عن مضمونه بما يناسبه من الألفاظ الإسلاميَّة، ومنها (الإسلام، نجاهد، أمر الله، الدِّين، معتدلاً، حنيفاً).

ومن سمات التَّراكيب في شعر الجهاد غلبة البساطة والعفويَّة على هذا الشِّعر، فهو شعر مطبوع، يبتعد عن التَّعقيد والالتواء، وذلك يعود إلى أثر الثَّقافة الإسلاميَّة النَّابغة من تأثير القرآن الكريم والحديث النَّبوي، وصفاء اللُّغة التي ورد بها، فهي لغة منتقاة، تبتعد عن

(١) ديوان حسَّان بن ثابت :١٢٠.

(٢) ديوان كعب بن مالك :٢٣٥ – ٢٣٧.

الخشونة، كلُّ ذلك أدَّى إلى وضوح التَّراكيب في شعر الجهاد وحسن تأليفها، وبعدها عن التَّنافر والتَّعقيد، ومن أمثلة ذلك ما يظهر في قصيدة كعب بن مالك ﷺ التي نظمها يوم الخندق، يقول:

وسَائِلَةٍ تُسائِلُ ما لَقِينَا ... ولو شَهِدَتْ رَأَتْنَا صَابِرِينَا

صَبَرْنَا لا نَرَى لِلَّهِ عِدْلاً ... عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَا

وكانَ لنا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ ... بِهِ نَعْلُو البَرِيَّةَ أَجْمَعِينَا

نُقَاتِلُ مَعْشَراً ظَلَمُوا وعَقُّوا ... وكانوا بالعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَا[١]

نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا ... بِضَرْبٍ يُعْجِلُ الْمُتَسَرِّعِينَا

لِنَنْصُرَ أَحْمَداً واللَّهَ حتَّى ... نكونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَا[٢]

حيث يصف كعب ﷺ ما أصاب المسلمين في موقعة الخندق التي تحزَّب فيها المشركون واليهود والقبائل الموالية لهم، وساروا لحرب المسلمين، الذين واجهوا أولئك المتحزِّبين بالصَّبر، واليقين، والتَّوكل على الله - عزَّ وجلَّ - فكان النَّصر حليفهم، وكانت الهزيمة والذِّلَّة من نصيب تلك الأحزاب التي تحالفت وتآمرت من أجل العدوان على المسلمين.. وقد عبَّر الشَّاعر عن تلك المعاني بألفاظ سهلة واضحة تتلاءم مع طبيعة الموضوع، وصاغها في عبارات متآلفة متجانسة، ومن تلك العبارات: (ولو شهدت رأتنا صابرينا، على ما نابنا متوكِّلينا، وكان لنا النَّبي وزير صدق، نقاتل معشراً ظلموا وعقُّوا، نعاجلهم إذا نهضوا إلينا) حيث يظهر ترابط تلك العبارات وتماسكها، وقدرتها على التَّعبير عمَّا يرمي إليه الشَّاعر بوضوح. وهذه السِّمة تلحظ بوضوح في أغلب الشِّعر الذي صاغه الشُّعراء حول الغزوات[٣]، حيث تأنَّقوا في صوغ عباراتهم، والعناية بأساليبهم، وبخاصَّة؛ لأنّ هذا الشِّعر يردُّ على المشركين، وينقض قصائدهم التي تعرَّضوا فيها للمسلمين[٤].

---

(١) المرْصِدُ: المعِدُّ للأمر عُدَّته.

(٢) ديوان كعب بن مالك :٢٧٩ - ٢٨٠.

(٣) راجع مثلاً: ديوان حسَّان بن ثابت :٧١-٧٥، ٩٣، ٩٦، ١١٩، ١٢٠، ديوان عبدالله بن رواحة :١٣٨، ١٤٧، ديوان كعب بن مالك :٢٣٤-٢٣٧، ٢٥٥-٢٥٨.

(٤) راجع مثلا: السِّيرة النَّبويَّة ٢٥٤/٢ — ٢٥٥، ٢٥٧ — ٢٥٨، ديوان عبد الله بن الزِّبعرى :٢٩-٣٠، ٣٧

* * *

- ٣٩، ٤٠ - ٤٣.

ثالثاً: الصورة الفنية:

تعدُّ الصُّورة من أهمِّ العناصر الفاعلة في القصيدة الشِّعريَّة، لكونها من الوسائل الفنِّيَّة التي يعتمد عليها الشُّعراء في التَّعبير عن أفكارهم، لتقريب المعاني وزيادة توضيحها للتَّأثير في السَّامع. والصُّورة بناءً على ذلك ((ليست زينةً شكليَّةً، أو حليةً مصطنعةً، وإنَّما أداة أساسيَّة لتوصيل الخبرة والتَّعبير عن الرُّؤية))(١).

وتظهر الصُّورة بشكل أوضح من خلال ((الشَّكل الفنِّي الذي تتَّخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشَّاعر في سياق خاص ليعبِّر عن جانب من جوانب التَّجربة الشِّعريَّة))(٢) معتمداً في ذلك على وسائل التَّعبير المختلفة في رسم مشاهداته ونظرته الخاصَّة للأشياء.

وتأتي الفنون البيانيَّة في مقدِّمة الصُّور التي استعان بها الشُّعراء في شعر الغزوات، وهي صور عمادها التَّشبيهات، والاستعارات، حيث لجأ إليها الشُّعراء في قصائدهم لما تمثِّله من قيمةٍ فنِّيَّة عالية.

ويعدُّ التَّشبيه من أكثر الفنون البيانيَّة جرياناً في الشِّعر، فهو من أقدم صور البيان وأقربها إلى الفهم والأذهان، وبه يزداد المعنى وضوحاً ويكتسب تأكيداً(٣).

ومن الصُّور التَّشبيهيَّة ما يظهر في قول كعب بن مالك ﷺ في موقعة بدر، حيث صور مسيرة جيش المسلمين لملاقاة المشركين، وكأنَّهم أسود تزأر تنتظر فريستها، يقول:

فَسَارُوا وسِرْنَا فَالْتَقَيْنَا كأنَّنا أُسُودُ لِقَاءٍ لا يُرَجَّى كَلِيمُهَا(٤)

كما صوَّر حسَّان بن ثابت ﷺ استعداد المسلمين للقتال، فقال:

فِتْيَانُ صِدْقٍ كالليُوثِ مَسَاعِرٌ مَنْ يَلْقَهُمْ يَوْمَ الهِيَاجِ(٥) يُعَرِّدِ(٦)

حيث يصف فرسان المسلمين الذين يقفون في مقدِّمة الصفوف للدِّفاع عن عقيدتهم، والتَّضحية من أجلها، ولذا أطلق عليهم فتيان صدق، وشبههم بالأسود الضَّارية التي تدافع عن عرينها بكل حماسةٍ وعزيمة، وهم مع ذلك يسعرون نار الحرب، التي لا

(١) جماليَّات القصيدة المعاصرة د. طه وادي :٢١٢.

(٢) الاتِّجاه الوجداني في الشِّعر العربي المعاصر د. عبد القادر القط :٣٩١.

(٣) انظر: العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده لابن رشيق ٢٨٧/١، تحقيق: د. محمد قرقزان.

(٤) ديوان كعب بن مالك :٢٦٦.

(٥) يوم الهياج: أي يوم الوقائع والمعارك الشَّديدة، يعرِّد: يفرُّ.

(٦) ديوان حسَّان بن ثابت :٩٤.

يقوى الأعداء على خوضها، بل يفرُّون منها لجبنهم وخورهم.

كما شبّه شعراء الغزوات أعداءهم من المشركين بالنَّعام، الذي يضرب به المثل في الجبن، ومَّا جاء من أمثال العرب قولهم: (أَندُّ من نعامة)[1] أي أَنْفَر. حيث شبَّه كعب بن مالك ﷺ فرار المشركين يوم بدر بالنَّعام، فقال:

فَأَتَــاكَ فَــلُّ المشرــكين كَــأَنَّهُمْ   والخَيْــلُ تَثْفَــنُهُم نَعَــامٌ شُرَّدُ[2]

أمَّا حسَّان ﷺ فقد رأى تصويراً آخر لفرار المشركين في غزوة بدر، وذلك حين شبَّههم بالإبل التي يسير بعضها في إثر بعض، مبيِّناً هروبهم من أرض المعركة، ورجوعهم على أعقابهم بعد أن حمي الوطيس، وأحاط بهم المسلمون من كلِّ جانب، حيث يقول في ردِّه على قصيدة ابن الزِّبعرى:

إِذْ تُولُّــونَ عَــلَى أَعْقَــابِكُمْ هَرَبــاً   في الشِّــعْبِ أَشْــبَاهَ الرَّسَــلْ[3]

أمَّا فرسان المسلمين الذين يواجهون الأعداء بكلِّ بسالة فقد شبَّههم حسَّان ﷺ بالصُّقور، في قوَّة بأسهم، ونفاذ بصرهم، وتمكُّنهم من خصومهم، يقول:

لَــهُ خَيْــلٌ مُجَنَّبَــةٌ تَعَــادَى[4]   **بِفُرْسَــانٍ عَلَيهــا كَالصُّــقُورِ**[5]

ويشير حسَّان بن ثابت ﷺ إلى مكانة خُبَيب بن عدي[6] ﷺ وجهاده من أجل نصرة الإسلام، فيقول:

صَقْراً تَوَسَّطَ في الأَنْصَارِ مَنْصِبُهُ   حُلْوَ السَّجِيَّةِ مَحْضاً غَيْرَ مُؤْتَشبِ[7]

وفي معركة بدر لم يجد كعب بن مالك ﷺ بدّاً من ذكر مسيرة ذلك الجيش المسلم، يقدمه

(١) مجمع الأمثال للميداني ٤١٣/٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) ديوان كعب بن مالك :١٩١.

(٣) ديوان حسَّان بن ثابت :١٨١.

(٤) الخيلُ المجنَّبَةُ: المقودةُ. وتعادى: تسرع.

(٥) ديوان حسَّان بن ثابت :٢٤٥.

(٦) هو خُبَيْب بن عديٍّ بن مالك بن عامر الأوسي الأنصاري، شهد بدراً، وقَتَل الحارث بن عامر بن نوفل، واستشهد في عهد النَّبيِّ ﷺ. (انظر: الإصابة لابن حجر ١٨٥/٣).

(٧) ديوان حسَّان بن ثابت :٢٢٥.

الرَّسول الكريم ﷺ حيث يحثُّهم على الجهاد، ويقوِّي عزائمهم، وهم يصغون إليه، ويطيعونه في كلِّ ما يقول، وقد لجأ كعب ﷺ إلى الصُّورة التَّشبيهيَّة في هذا المقام، وذلك عندما شبَّه النَّبيَّ ﷺ بالبدر، الَّذي يضيء للآخرين فينير لهم طريقهم، ويدلّهم إلى طريق الرَّشاد والفلاح، يقول:

نَمْضِي ويَذْمُرنا[١] في غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ... كأنَّه البَدْرُ لم يُطْبَعْ عَلَى الكَذِبِ[٢]

وفي صورة تشبيهيَّة أخرى يشبِّهه ﷺ بالشِّهاب، وهو يتوسَّط المسلمين، يقول كعب:

فِينَا الرَّسُولُ شِهَابٌ ثُمَّ يَتْبَعُه ... نورٌ مضيءٌ له فَضْلٌ على الشُّهُبِ[٣]

كما استعان الشُّعراء بالاستعارات الجميلة لإبراز معانيهم في حلَّة قشيبة، وإيرادها في شكل تشتاق إليه النُّفس، وتأنس به. ومن تلك الصُّور ما عبَّر عنه حسَّان بن ثابت ﷺ في يوم بدر، وذلك في وصف هزيمة حكيم بن حزام بن خويلد في ذلك اليوم، حيث قال:

نَجَّى حَكِيماً يَوْمَ بَدْرٍ رَكْضُهُ ... كَنَجَاءِ مُهْرٍ مِنْ بَنَاتِ الأَعْوَجِ

لَمَّا رَأَى بَدْراً تَسِيلُ جِلَاهَهَا[٤] ... بِكَتَائِبٍ مِلأَوْسِ أَوْ مِلْخَزْرَجِ[٥]

فقد جعل حسَّان ﷺ في البيت الثَّاني جِلَاه بدرٍ تسيل رجالاً من كثرة كتائب الأوس والخزرج على سبيل الاستعارة، وذلك بما تحمله من عمق في تصوير تلك الكتائب، التي قدمت لنصرة الإسلام ودحر الشِّرك.

وفي تصوير المعارك تظهر جليّاً براعة الشُّعراء في التقاط صورهم التي رسموا من خلالها مشاهد حيَّة لما دار في أرض المعركة من مواقف وأحداث، ومن ذلك ما عبَّر عنه كعب ابن مالك ﷺ في موقعة بدر، عندما وصف قتلى المشركين الذين سقطوا في أرض المعركة، فقال:

وعُتْبَةُ وابْنُه خَرَّا جميعاً ... وشَيْبَةُ عَضَّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ

---

(١) يذمرنا: يحضُّنا ويدفعنا.

(٢) ديوان كعب بن مالك :١٧٥.

(٣) المصدر السَّابق :١٧٤.

(٤) الجِلَاه: جمع جلهة، وجلهتا الوادي: جانباه. وملأَوسِ أو ملخزرج: أي من الأوس ومن الخزرج على سبيل التَّسهيل.

(٥) ديوان حسَّان بن ثابت :٢٩٩.

وهَـام بنـي ربيعـةَ سَائلُـوها ففـي أَسْيَافِنـا منهـا فُلُـولُ[1]

حيث أشار كعب ﷺ إلى مقتل سادة قريش، ومنهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، اللذان قتلا في بدر، فقد لقيا جزاء عداوتهما ومحاربتهما للمسلمين، وفي التَّعبير عن مصرع شيبة تصوير بديع، وذلك حين قال: ((وشيبة عضَّه السَّيف الصَّقيل)) فقد شبَّه السَّيف بحيَّة تعضُّ، وتنهش، وتلحق الضَّرر بمن تريد، حيث أوحى هذا التَّعبير بالأثر الذي أحدثه السَّيف، وما كان له من وقع مؤلم في أجساد المشركين. وفي قوله: ((وهَام بني ربيعةَ سَائلُوها)) إحالة للسُّؤال من العاقل إلى ما لا يعقل، إذ الخطاب يكون في حقيقته إلى أولئك المشركين، وليس إلى هاماتهم التي تطايرت في يوم بدر، وهنا يكون التَّعبير أبلغ وأقوى تأثيراً من جهة الاستدلال على ما حلَّ بالمشركين، وما أصابهم في تلك الموقعة الحاسمة.

ويصف العبَّاس بن مرداس السُّلمي ما كان من مشاركة بني سُليم في فتح مكَّة بألف فارس جاءوا لنصرة النَّبيِّ ﷺ وتحقيق الفتح المنتظر، يقول:

مِنَّـا بمكَّـة يـومَ فَـتْحِ محمَّـدٍ أَلْـفٌ تَسِيلُ بِـهِ البِطَـاحُ مُسَـوَّمُ[2]

لقد كان العدد الذي شارك المسلمين من بني سُليم كثيراً في نظر الشَّاعر، فهم (معلَّمون) ومتدرِّبون على الحرب وخوض غمارها من جهة، وقد سالت بهم تلك الأرض السَّهلة المتَّسعة لكثرتهم ووفرة أعدادهم من جهة أُخرى، وهنا يبرز دور التَّصوير الذي لجأ إليه العبَّاس بن مرداس في قوله: (ألف تسيل به البطاح) إذ لا تسيل الأرض ماءً، بل تسيل رجالاً من بني سُليم ملأوا بكتائبهم تلك البطاح، وهو ما يُبرز أهمِّيَّة تلك الحشود الَّتي توافرت لنصرة المسلمين في فتح مكَّة.

وفي موقعة مؤتة، وأمام جيوش الرُّوم الجرَّارة التي واجهت المسلمين في أرض المعركة، لم يجد عبد الله بن رواحة ﷺ بدَّاً من مخاطبة نفسه، وحثِّها على الصَّبر والعزيمة، والتَّضحية من أجل النَّصر أو الشَّهادة في سبيل الله، يقول:

يَـا نَفْـسُ إلاّ تُقْـتَلِي تَمُـوتِي هـذا حِيَـاضُ المَـوْتِ قـد صَـلِيتِ

إِنْ تَسْـلَمِي اليَـوْمَ فَلَـنْ تَفُـوتِي أَو تُبْـتَلِي فَطَالَمَـا عُـوفِيتِ[3]

---

(١) ديوان كعب بن مالك :٢٥٣.

(٢) السّيرة النَّبويَّة ٢/٤٢٦.

(٣) ديوان عبد الله بن رواحة :١٥٤.

فقد جعل الشَّاعر من نفسه إنساناً مقابلاً له يجيد لغة الحوار والخطاب، والجدال والإقناع، وذلك ليبثَّ ما في وجدانه من مشاعر، ويعالج ما في داخله من إحجام، قاصداً في نهاية المطاف أن تتشجَّع نفسه، وتُقدم على ذلك الأمر الذي جاءت من أجله، وهو الجهاد والتَّضحية في سبيل الله.

ويصوِّر العبَّاس بن مرداس رضي الله عنه بطولة قومه وشجاعتهم، وهم يتصدُّون للمشركين في موقعة حُنين، فيقول:

إِذْ نَرْكَبُ المَوْتَ مُخْضَرّاً بَطَائِنُهُ   والخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْها سَاطِعٌ كَدِرُ(١)

فالشَّاعر هنا وفي سياق تجسيد شجاعة قومه وفروسيَّتهم يلجأ إلى التَّصوير، وذلك حين أحال الأمور المعنويَّة إلى أمور حسِّيَّة، تشاهد، وتُركب، ويُتعامل معها، وهو ما يظهر فيقوله: (إذ نركب الموت مخضرّاً بطائنه) فقد أحال (الموت) وهو أمر معنوي إلى محسوس، وجسَّده بشكل ملموس، ليُوحي من خلال ذلك بما امتاز به أولئك الفرسان من ثبات، وعزيمة، وإقدام في أرض المعركة.

(١) السِّيرة النَّبويَّة ٢/٤٦٧.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات، والصَّلاة والسَّلام على أفصح العرب قاطبة سيِّد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد سارت هذه الدِّراسة في تتبُّع شعراء غزوات النَّبيِّ ﷺ، وما قيل في تلك المعارك الخالدة من أشعار، وما حفلت به من روح الحماسة والعزيمة، والحرص على الدِّفاع عن الإسلام، ومنافحة خصومه، والتَّصدِّي لهم في كلِّ الأشعار التي نظموها من أجل الإساءة إلى الدَّعوة الإسلاميَّة.

وقد اشتملت هذه الدِّراسة على فصلين أساسين، أحدهما بعنوان: (الشِّعر في مواكبة الغزوات)، وفيه عرض البحث لغزوات النَّبيِّ ﷺ، وما قيل فيها من أشعار، وما حفل به ذلك الشِّعر من ردود على شعراء المشركين، حيث كانت غزوة (بدر) هي أولى الغزوات التي نالت اهتمام الشُّعراء، ثم تلتها غزوة (أحد)، واتَّسم فيها الشِّعر بالكثرة لما شهدته من أحداث جعلت شعراء المشركين يفخرون على المسلمين، ولذا فقد جاءت الرُّدود من قبل شعراء المسلمين لتخرس ذلك الشِّعر، وتفصح عن عيوبه. وفي غزوة (الخندق) وقف الشِّعر يشير إلى حماسة المسلمين وروحهم المعنويَّة في مواجهة تلك الأحزاب التي قدمت لحرب المسلمين، ولكنَّهم باءوا في نهاية أمرهم بسوء العاقبة والخسران. وفي غزوة (مؤتة) وقف الشِّعر يستنهض الهمم، ويقوِّي العزائم، ويشير إلى ما ينشده المسلمون من النَّصر أو الشَّهادة في سبيل الله. وأخيراً جاء (فتح مكة) فكان بشارة عظيمة للمسلمين وطريقاً لنشر الإسلام في تلك الأنحاء، حيث مجَّد الشُّعراء ذلك الفتح وأبانوا عن عظمته، وأهمِّيَّته للمسلمين.

أمَّا الفصل الثَّاني فكان بعنوان: (القيم الفنِّيَّة في شعر الغزوات) وفيه تناولت الدِّراسة ما اتَّسم به ذلك الشِّعر من قيم فنِّيَّة في جانب اللُّغة الشِّعريَّة، والصُّورة الفنِّيَّة، وبيان أثر القرآن الكريم في شعر الغزوات.

أهم النتائج :

١. براعة الشِّعر الإسلامي في جانب الغزوات وظهوره بشكل ملموس .

٢. مواكبة شعر الدعوة الإسلاميَّة للغزوات التي قادها المسلمون في عهد النبي ﷺ .

٣. اشتمال ذلك الشِّعر على معاني الحماسة والجهاد في سبيل الله والحض على نصرة الدين .

٤. العاطفة الدينية متوقدة في ذلك الشِّعر حيث ظهر أثرها في إذكاء الهمم وتقوية العزيمة لدى المجاهدين وحضهم على نصرة الدين .

٥. تنوُّع المعجم الشِّعري واشتماله على المفردات والتَّراكيب التي تعبِّر عن معاني الجهاد في سبيل الله واذكاء العزيمة في نفوس المجاهدين، وظهرت جليًا فصاحة الكلمة وسلاسة العبارة وكثرة مفردات القاموس الاسلامي .

أهم التوصيات :

كما توصي الدراسة الباحثين بتناول موضوعات الحماسة في شعر الجهاد في عصر النبي ﷺ وتناول الجوانب الفنية في شعر النُّبوة والخلفاء الراشدين ؛ لما اشتملت عليه من قيمٍ فنِّيَّة تأثَّرت بالقرآن والحديث والمعاني الإسلامية الَّتي عرفت مع بعثة النبي ﷺ وهو ما يبرز بوضوح أثر الإسلام في الشعر .

هذا وأسأل الله تعالى التَّوفيق والسَّداد، وأستمدُّ منه العون والتَّأييد.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.



فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- «الاتِّجاه الوجداني في الشِّعر العربي المعاصر»، القط، الدكتور عبد القادر، ط٢ ، بيروت: دار النَّهضة العربيَّة للطباعة والنَّشر، ١٩٨١م.
٣- «الأدب الإسلامي في عهد النُّبوَّة وخلافة الرَّاشدين»، معروف، الدكتور نايف، ط١ ، بيروت: دار النَّفائس للطباعة والنَّشر، ١٤١٠هـ.
٤- «الأدب في عصر النُّبوَّة والرَّاشدين»، الهادي ، الدكتور صلاح الدِّين، ط٤ ، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٩هـ.
٥- «أساس البلاغة»، الزَّمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر ، تحقيق: عبد الرَّحيم محمود ، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
٦- «الاستيعاب في أسماء الأصحاب»، القرطبي، ابن عبد البر، القاهرة: مطبعة السَّعادة، ١٣٨٢هـ.
٧- «أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة»، ابن الأثير، عزِّ الدِّين، القاهرة: دار الشَّعب، د. ت.
٨- «الإسلام والشِّعر»، ترحيني، الدكتور فايز، ط١، بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٠م.
٩- «الإصابة في تمييز الصَّحابة»، العسقلاني، ابن حجر، تحقيق: علي محمد البجاوي ، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٠م.
١٠- «الأغاني»، الأصبهاني، أبو الفرج، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الشعب، ١٣٨٩هـ.
١١- «التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة»، زلط، الدكتور عبد الرحيم محمود، ط٣ ، الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ.
١٢- «تاريخ الأدب العربي- العصر الإسلامي -»،ضيف، الدكتور شوقي، ط٧ ، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م.
١٣- «تاريخ الأدب العربي»، فروخ، الدكتور عمر، ط٥ ، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.
١٤- «تأمُّلات في سيرة الرَّسول ﷺ»، الوكيل، الدكتور محمَّد السَّيِّد، ط١، جدة: دار المجتمع للنَّشر والتَّوزيع، ١٤٠٨هـ.
١٥- «جماليَّات القصيدة المعاصرة»، وادي، الدكتور طه، ط٣ ، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٤م.
١٦- «دراسات في أدب الدَّعوة الإسلاميَّة»، زيني، الدكتور محمود حسن، القاهرة: مطبوعات مكتبة الخانجي، ١٤٠٢هـ.
١٧- «ديوان النَّابغة الجعدي»، تحقيق: عبد العزيز رباح ، دمشق: المكتب الإسلامي للطِّباعة والنَّشر، د. ت.
١٨- «ديوان حسَّان بن ثابت»، تحقيق: د. سيِّد حنفي حسنين ، القاهرة : دار

المعارف، ١٩٨٣م.
١٩- «ديوان عبد الله بن رواحة - ودراسة في سيرته وشعره -»، قصاب، الدكتور وليد ، ط٢، عمَّان: دار الضِّياء للنَّشر والتَّوزيع، ١٤٠٨هـ.
٢٠- «ديوان كعب بن مالك الأنصاري - دراسة وتحقيق -»، العاني، الدكتور سامي مكِّي ، ط١ ، بغداد : منشورات مكتبة النَّهضة، ١٩٦٦م.
٢١- «سير أعلام النُّبلاء»، الذهبي، شمس الدِّين ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون ، ط١، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ١٤٠١هـ.

٢٢- «السِّيرة النَّبويَّة»، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السَّقا وزميليه ، ط٢ ، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ.
٢٣- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، الحنبلي، عبد الحي ، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
٢٤- «الشِّعر الإسلامي في صدر الإسلام»، الحامد، الدكتور عبد الله، ط٢، ١٤٠١هـ.
٢٥- «شعر العقيدة الإسلاميَّة في عصر صدر الإسلام حتى سنة ٢٣ هجريَّة»، القيسي، الدكتور أيهم، ط١ ، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٦هـ.
٢٦- «شعر الفتوح الإسلاميَّة في صدر الإسلام»، د. النُّعمان القاضي، الدَّار القوميَّة للطباعة والنَّشر، القاهرة ١٣٨٥هـ.
٢٧- «شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه»، الجبوري، الدكتور يحيى، ط٣ ، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ١٤٠٨هـ.
٢٨- «شعر عبد الله بن الزِّبعرى»، الجبوري، الدكتور يحيى، ط١ ، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ١٣٩٨هـ.
٢٩- «صحيح مسلم»، مسلم، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ.
٣٠- «الصُّورة والبناء الشِّعري»، عبدالله، الدكتور محمد حسن، القاهرة: دار المعارف،١٩٨١م.
٣١- «العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده»، القيرواني، ابن رشيق (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور محمد قرقزان ، ط١ ، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ.
٣٢- «في أدب الإسلام - عصر النُّبوَّة والرَّاشدين وبني أميَّة-»، علي، الدكتور محمَّد عثمان ، ط٢ ، بيروت: دار الأوزاعي للطباعة والنَّشر، ١٤٠٦هـ.
٣٣- «القاموس المحيط»، الفيروزآبادي، مجد الدِّين محمّد بن يعقوب ، ط٢، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة للطِّباعة والنَّشر، ١٤٠٧هـ.
٣٤- «لسان العرب»، المصري، ابن منظور، بيروت: دار صادر، د. ت.
٣٥- «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، ابن الأثير، ضياء الدِّين، تعليق: د.أحمد الحوفي وزميله ، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنَّشر ، ١٩٧٣م.
٣٦- «مجمع الأمثال»، الميداني، أبي الفضل أحمد بن محمَّد بن إبراهيم، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٨م.
٣٧- «المسند»، ابن حنبل ، الإمام أحمد بن محمد، شرح: أحمد محمود شاكر ، القاهرة:

دار المعارف، ١٣٧٤هـ.
٣٨- «المصباح المنير»، المقري ، أحمد بن محمد بن علي الفيُّومي، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.
٣٩- «معجم البلدان»، الحموي ،ياقوت ، بيوت: دار صادر، ١٣٧٤هـ.
٤٠- «معجم ألفاظ القرآن الكريم»، عن مجمع اللغة العربيَّة ، القاهرة: مطابع الأوفست، ١٤٠٩هـ.
٤١- «المعجم الوسيط»، عن مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، ط٢ ، بيروت: دار إحياء التُّراث العربي، ١٩٧٢م.
٤٢- «النَّابغة الجعدي - حياته وشعره -»، أبو ذياب، الدكتور خليل إبراهيم، ط١ ، دمشق: دار القلم للطباعة والنَّشر، ١٤٠٧هـ.
٤٣- «النَّظرة النَّبويَّة في نقد الشِّعر»، قصَّاب، الدكتور وليد ، العين: منشورات المكتبة الحديثة، ١٤٠٨هـ.
٤٤- «الوساطة بين المتنبِّي وخصومه»، الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت.

فهرس الموضوعات